يا طالب العلم أقبل

تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال

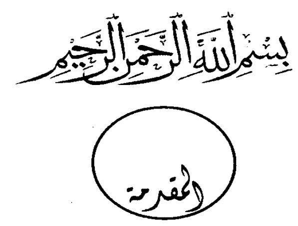
الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية - ت: ٥٤٩٦١٠٧

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع	٩٨٠٨ / ٢٠٠٤



الحمد لله الذي شيد منار الدين وأعلامه، وأوضح للخلق شرائعه وأحكامه، وختم الدعوة بنبينا محمد ﷺ، وفضله على من سبق من الأولين والآخرين، وجعل شريعته مؤيدة إلى يوم الدين، ووكل بحفظها من الصحابة والتابعين من تقوم به الحجة، وترتفع بقوله الشبهة: وهم العلماء الذين ألزمهم حراسة شريعته، والتفقه في دينه.

أما بعد:

لا يخفى على أحد ما تعيشه الأمة في هذه الفترة من صحوة إسلامية، بعد طول نوم عشش خلاله ظلام الجهل والبدع - حتى عم أكثر الناس -، ولما كان لا يصلح شأن هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وجب الرجوع إلى الكتاب والسنة

مصدر التشريع للأمة الإسلامية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بطلب العلم والجد في تحصيله، ولما رأيت أن الهمم قد نامت وتقاعست عن طلب العلم، أحببت أن أوقظ تلك الهمم من سباتها، وأقدم لها ما يدفعها لتحصيل العلم الشرعي.

فقرأت ما كتبه علماؤنا رحمهم الله عن العلم وفضله، والحث على تحصيله؛ فوجدت مادة غزيرة اقتطفت منها بعض الثمار اليانعة من قولهم، وربطت بينها بعبارات قصيرة، فأخرجتها في قالب واحد كحبات لؤلؤ قد شكت في خيط من ذهب، ووضعتها في رسالة (يا طالب العلم أقبل)، لأحث نفسي وإخواني على طلب العلم الشرعي والتحمس له، ولأحيي بأخبار سلفنا الصالح موات قلوبنا.

وأسأل الله أن يجعلنا للخير وصافين، وبه عاملين وموصوفين؛ وأسأله سبحانه أن يخرج لهذه الأمة العلماء الربانيين الصادقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل العلم الشرعي وشرفه

العقل دليل الخير، والعلم مصباح العقل، وهو جلاء القلب من صدئ الجهل، وهو أقنع جليس، وأسر عشير، وأفضل صاحب وقرين، وأزكى عقدة، وأربح تجارة، وأنفع مكسب، وأحصن كهف، وأفضل ما اقتني للدنيا، واستطهر به للآخرة، واعتصم به من الذنوب، وسكنت إليه القلوب، يزيد في شرف الشريف، ورفعة الرفيع، وقدر الوضيع، أُنسٌ في الوحشة، وأمنٌ عند الشدة، ودالٌ على طاعة الله تعالى، وناهٍ عن معصيته، وقائدٌ إلى رضوانه، ووسيلةٌ إلى رحمته.

استشهد الرب جل وعلا أهل العلم الربانيين على أجل مشهود، وأعظم حقيقة، ألا وهي توحيد الله وإفراده دون سواه بالألوهية، فقال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾[1]. ووجه الدلالة من الآية على

(١) آل عمران: ١٨.

شرف العلم وفضله من ثلاثة وجوه، قررها ابن القيم رحمه الله بقوله:

أولهـــا: أن الله تعالى استشهد العلماء دون غيرهم من سائر البشر؛ وهذا دليل فضلهم.

وثانيـها: أن الله قرن شهادة العلماء بتوحيد الله وانفراده بالألوهية بشهادته جل وعلا لنفسه بهذا الأمر.

وثالثـهـا: أن في ضمن هذا الاستشهاد تزكية للعلماء وتعديلاً لهم؛ لأن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول[1].

أمر الرب تبارك وتعالى رسوله محمدًا ﷺ أن يدعوه ويسأله أن يزيده من العلم النافع، فقال تعالى لنبيه: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[2]. فتأمل كيف أن المولى جل وعلا لم يأمره بالدعاء والازدياد من أي شيء سوى العلم الشرعي؛ وما ذلك إلا لفضل العلم وشرفه، ورفعة قدره عند الرب تبارك وتعالى.

---

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) طه: ١١٤.

أمر الرب تبارك وتعالى الناس بالرجوع إلى أهل العلم، وسؤالهم عما أشكل عليهم من أمور دينهم، وجعل ذلك فرضًا واجبًا يأثم تاركه، فقال تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾[1] .

ولأجل شرف العلم وفضله أباح الله لنا أكل الصيد الذي اصطاده الكلب المعلم، وحرم علينا أكل ما صاده الكلب غير المعلم، وهذا دليل على أن البهائم والعجماوات تتفاضل بالعلم، فكيف الحال ببني آدم؟! قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾[2] . فتأمل كيف أنه لولا فضل العلم وشرفه لكان صيد الكلب المعلم والجاهل سواء؟

ومما يدل على شرف العلم الشرعي قول النبي محمد ﷺ: «**تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في**

(١) النحل: ٤٣.
(٢) المائدة: ٤.

الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا»[١] .

قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[٢]. فتبليغ العلم أمر يحبه الرسول ﷺ، وكفى بذلك دلالة على شرف العلم الشرعي وفضله.

قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٣].

قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سنًا»[٤] . وما أجمل قول ابن القيم رحمه الله على هذا

(١) متفق عليه. (صحيح الجامع ٢٩١٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه. (صحيح الجامع ٧٩٣).

(٤) رواه مسلم.

الحديث: «فقدم ﷺ في الإمامة فضيلة العلم على تقدم الإسلام والهجرة، ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسنة - لشرف معلومه على معلوم السنة - قدم العلم به، وهذا يدل على شرف العلم وفضله، وأن أهل العلم هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية»[1] .

وهذا العلم هو ميراث النبي محمد ﷺ؛ وقد روى الخطيب البغدادي رحمه الله: «أن أعرابيًا مر وابن مسعود رضي الله عنه يحدث طلابه، وهم حوله مجتمعون، فقال الأعرابي: علام اجتمع هؤلاء؟! فقال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ يقتسمونه بينهم»[2] .

قال سفيان الثوري رحمه الله: «ما أعرف شيئًا أفضل من طلب الحديث؛ إذا أريد به الله»[3] .

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) شرف أصحاب الحديث.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق.

قال الزهري رحمه الله: «ما عُبِد الله بشيء أفضل من العلم»[1].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يثبط عن طلب العلم إلا جاهل»[2].

واستمع إلى هذه المناظرة الطريفة بين العلم والعقل:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا

من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا

فالعلم قال أنا أحرزت غايته

والعقل قال أنا الرحمن بي عُرفا

فأفصح العلم إفصاحًا وقال له

بأينا الرحمن في فرقانه اتصفا

فبان للعقل أن العلم سيده

فقبل العقلُ رأسَ العلم وانصرفا

(١) البداية والنهاية.

(٢) غذاء الألباب.

أهمية العلم الشرعي

العلم الشرعي عاصم من الضلال والانحراف، والعمل على غير بصيرة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «الناس إلى العلم أحوج إليه من الطعام والشراب؛ وذلك لأن الرجل قد يحتاج إلى الطعام والشراب مرة أو مرتين، أما حاجته للعلم فهي بعدد أنفاسه»[1].

قال الحسن البصري رحمه الله: «لولا العلماء لصار الناس كالبهائم»[2].

واستمع إلى الإمام ابن القيم رحمه الله وهو يحدثك عن أهمية العلم الشرعي وضرورته للخلق، فيقول: «والإنسان إنما

(١) مدارج السالكين.

(٢) مختصر منهاج القاصدين.

يتميز عن غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان، وإلا فغيره من الدواب والسباع أكثر أكلاً منه، وأقوى بطشًا، وأكثر جماعًا وأولادًا، وأطول أعمارًا، وإنما مُيز على الدواب والحيوانات بعلمه وبيانه، فإذا عُدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب، وهي الحيوانية المحضة، فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شرًا منهم؛ والمقصود أن الإنسان إذا لم يكن له علم بما يصلحه في معاشه ومعاده كان الحيوان البهيم خيرًا منه، لسلامته في المعاد مما يهلكه دون الإنسان الجاهل»[١] .

«إن العلم حاكم على ماسواه، ولا يحكم عليه شيء، فكل شيء اختلف في وجوده وعدمه، وصحته وفساده، ومنفعته ومضرته، ورجحانه ونقصانه وكماله، ومدحه وذمه، ومرتبته في الخير، وجودته ورداءته، وقربه وبعده، وإفضائه إلى مطلوب كذا وعدم إفضائه، وحصول المقصود به وعدم حصوله، إلى سائر جهات المعلومات، فإن العلم حاكم على ذلك كله»[٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) المصدر السابق.

اعلم أن العلم إمـام العمل وقـائد له، والعـمل تابع له ومؤتمٌ به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتـديًا به فهو غير نافع لصاحـبه، بل مضـرةٌ عليه، كمـا قال بعض السلف: من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

اعلم أن العامـل بلا علم كالسائر بلا دلـيل، ومعلوم أن عطب مثل هذا أقرب من سـلامتـه اتفـاقًا، فـهو غير محمود، بل مـذمـوم عند الـعقـلاء، وكـان شـيخ الإسـلام ابن تيمـيـة رحمه الله يقول: «من فـارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول ﷺ».

اعلم أن العلم الشرعي سبب لحـصول اليقين والطمأنينة في القلب.

اعلم أن العلم الشرعي هو زاد الداعية إلى الله، فلا دعوة بلا علم.



معرفة ما العلم النافع

وضوح الطريق، وصفاء المنهج، وتمايز المفاهيم، وتحديد المعايير والضوابط قضية مهمة جدًا لكل سالك في أي طريق من الطرق؛ وعلى ذلك فإنه ينبغي لطالب العلم الصادق أن يعرف ما العلم الشرعي النافع الذي يوصله إلى خشية الله ومراقبته التي هي رأس العلم؟ لأننا في زمن اختلطت فيه المفاهيم، والتبست فيه المعايير، وتشعبت وتعددت فيه الطرق والمناهج، فكان لزامًا بيان الوجهة الصحيحة، وتحديد الهدف، وتصحيح المفاهيم المغلوطة اعتمادًا على النبع الصافي والمنهل العذب ألا وهو كتاب الله تعالى، وسنة رسوله محمد ﷺ، ومنهج السلف الصالح، حتى تسير القافلة العلمية الشرعية على بصيرة ونور من ربها تعالى، فإليك البيان والتوضيح:

قال ابن الجوزي رحمه الله مبينًا حقيقة العلم النافع بأنه: «متى ما حصل أوجب معرفة المعبود عز وجل، وحرك إلى

خدمته ـ أي: إلى عبادة الله ـ بمقتضى ما شرعه وأحبه، وسلك بصاحبه طريق الإخلاص»(١) .

قال مجاهد بن جبر رحمه الله: «الفقيه من يخاف الله عز وجل ـ وإن قل علمه ـ، والجاهل من عصى الله عز وجل ـ وإن كثر علمه ـ»(٢) .

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «العلم النافع يدل على أمرين:

أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه، وخشيته ومهابته، ومحبته ورجاءه، والتوكل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال؛

---

(١) صيد الخاطر.

(٢) البداية والنهاية.

فيُوجب ذلك لمن علمهُ المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه، فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع، ومتى كان العلم نافعًا، ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له، وقنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به، فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا»[1].

قال حماد بن زيد رحمه الله: «قلت لأيوب السختياني: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر، والعلم فيما تقدم أكثر. ففرق هذا الراسخ بين العلم والكلام؛ فالكتب كثيرة جدًا، والكلام والجدال والمقدرات الذهنية كثيرة، والعلم بمعزل عن أكثرها - وهو ما جاءت به السنة - وأكثر ما عند الناس كلام وآراء وظنون؛ والعلم من وراء الكلام»[2].

قال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله: «قلت لأبي: هل كان معروف الكرخي معه شيء من العلم؟ فقال لي:

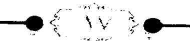
(١) فضل علم السلف على علم الخلف.

(٢) الفوائد.

يا بني: كان معه رأس العلم خشية الله»[1] .

قال ابن القيم رحمـه الله تعالى: «أعلى الهمم في طلب العلـم طلـب علـم كتـاب الله، وسنـة رسولـه ﷺ، والفهـم عن الله ورسوله ﷺ نفس المراد، وعلم حدود المُنزل»[2] .

ويلخص لنا ابن رجب رحـمـه الله العلم النافع بقـوله: «فأفضل العلم العلم بالله الذي يُوجب خشيته ومحبته، والقرب منه والأنس به، والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله، وما يحبـه ويرضاه من العبد من قـول أو عمل أو حال أو اعتـقاد، فمن تحـقق بهذين العلمين كان علمـه علمًا نافعًـا، وحصل له العلم النافـع، والقلـب الخـاشـع، والنفـس القـانعـة، والدعـاء المسموع»[3] .



(١) فضل علم السلف على علم الخلف.

(٢) الفوائد.

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف.

حكم طلب العلم الشرعي

طلب العلم الشرعي ليس في كل الأحوال أمرًا مستحبًا مندوبًا إليه - يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه - وفقط، بل هناك أحوال كثيرة يكون طلب العلم الشرعي فيها أمرًا واجبًا وجوبًا عينيًا على كل فرد مسلم، ويأثم المرء بترك القيام بهذا الفرض العيني، كما قال رسول الله ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**[1].

وفي أحوال أخرى يكون طلب العلم الشرعي واجبًا كفائيًا - يجب على الأمة في مجموعها - فلو لم تقم به الأمة، أو قام به من لا تحصل بهم الكفاية أثمت الأمة جميعها؛ ومادام الأمر كذلك، فلابد من معرفة حد وضابط العلم الشرعي الذي

(١) صحيح. رواه الطبراني في الأوسط. (صحيح الجامع ٣٩١٣).

يجب على المرء تعلمه وجوبًا عينيًا أو كفائيًا.

قال ابن القيم رحمه الله: «**أنواع العلم الواجب تعلمه أربعة منها:**

النوع الأول: أصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

النوع الثاني: علم شرائع الإسلام واللازم منها كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها ومبطلاتها.

النوع الثالث: علم المحرمات الخمسة التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[1]. فهذه محرمات على كل

(١) الأعراف: ٣٢.

واحد في كل حال على لسان كل رسول لا تُباح قط.

النوع الرابع: علم أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصًا - أي: خاصته من زوج وأولاد وأقارب - وعمومًا - أي: مع عامة الناس -، والواجب في هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم، فليس الواجب على من نصب نفسه لأنواع التجارات من تعلم أحكام البياعات، كالواجب على من لا يبيع ولا يشتري إلا ما تدعو إليه الحاجة»[1].

إذن يمكننا أن نقول: إنه يتوجب على المرء معرفة وطلب علم أحوال القلب من التوكل والإنابة، والخشية والخوف من الله عز وجل، واللجوء إليه، فإن هذه ملازمة له في كل أحواله، وكذلك يلزمه معرفة وطلب علم الحال - أي: طلب علم ما يقع له في حاله في أي حال كان - فإذا أراد الصلاة لزمه تعلم أحكامها، وإن أراد الحج لزمه تعلم كيفيته وأحكامه، وإن كان

(١) مفتاح دار السعادة.

لـديـه مـال مـن الأمـوال الزكـويـة التـي تـوفـرت فيهـا شـروط وجوب الزكـاة، لزمه تعلم أحكام الزكاة المتـعلقة بذلك النوع، وهذا في سائر شئون الحياة العـملية من نكاح ومعاملات وبيوع ومنازعات . . . إلخ.

❑ ❑ ❑

جزاء العلماء الربانيين

إنما تعظم الجائزة على قدر عظم المهمة، ولما كان لطلب العلم الشرعي منزلة عظيمة في هذا الدين، فقد أعد الله للعلماء وطلاب العلم الربانيين الصادقين ثوابًا عظيمًا جزيلاً، إذا سمعته قلوب المؤمنين اهتزت فرحًا وطربًا له، واشتاقت إلى نيله وتحصيله، فهلم يا أخا الإسلام: لنتأمل معًا في الجوائز والنفائس التي تنتظر أهل العلم الصادقين.

قال رسول الله ﷺ: **«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة»**[1].

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعقيبًا على هذا الحديث: «فكل طريق - حسي أو معنوي - يسلكه أهل العلم - يُعين على

(١) رواه مسلم.

العلم أو يحصله - فإنه داخل في ذلك الحديث»[1].

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن طلب المرء للعلم الشرعي علامة على إرادة الله بذلك العبد الخير في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»**[2].

وأخبرنا النبي محمد ﷺ أن العلماء الصادقين لهم منزلة عظيمة لا يُحصلها سواهم، وهي أنهم ورثة الأنبياء في حمل الدين ونشره، قال رسول الله ﷺ: **«فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب؛ وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»**[3].

وبلغ من إكرام الله لأهل العلم الربانيين وطلابه الصادقين

---

(١) الفتاوى السعدية.

(٢) متفق عليه. (صحيح الجامع ٦٦١١).

(٣) صحيح. رواه أبو نعيم في الحلية. (صحيح الجامع ٤٢١٢).

أنه جل وعلا، وملائكته الكرام الأطهار يصلون عليهم، قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»[1].

وبلغ من منزلة أهل العلم عند الله جل في علاه أن كل شيء في الأرض وفي السماء يستغفر لهم - حتى البهائم والدواب -، قال رسول الله ﷺ: «صاحب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر»[2].

وأخبرنا الرسول ﷺ أن من مشى إلى مجلس علم ليحضره فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، قال رسول الله ﷺ: «من جاء مسجدي هذا - لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يُعلمه - فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله»[3].

وقد دعا الرسول ﷺ لأهل العلم الصادقين بالنضرة

(١) صحيح. رواه الطبراني. (صحيح الجامع برقم ١٨٣٨).

(٢) صحيح الجامع (٣٧٥٣).

(٣) صحيح. رواه ابن ماجه. (صحيح الجامع ٦١٨٤).

- وهي بهاء الوجه وجلاله وإشراقه - قال رسول الله ﷺ: «نضر الله امرءًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يُبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[١] .

ومن أعظم الثواب لأهل العلم أنهم إذا ماتوا انتفعوا بثواب علمهم وهم في قبورهم، قال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٢] .

قال الحسن البصري رحمه الله: «يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة؛ فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء»[٣] .

❑ ❑ ❑

(١) صحيح. رواه الترمذي. (صحيح الجامع ٦٧٦٣).
(٢) متفق عليه. (صحيح الجامع ٧٩٣) .
(٣) إحياء علوم الدين.



الإخلاص لله في طلب العلم

إخلاص النية لله تعالى هو المقصود الأول في كل عبادة؛ وطلب العلم من أشرف العبادات، والعمل به هو ثمرته، فلو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

وقد أمرنا الله عز وجل بإخلاص العبادة له وحده دون سواه، فقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾[1]؛ وطلب العلم الشرعي من أجل العبادات وأفضلها عند الله تبارك وتعالى.

وقد بين لنا الرسول ﷺ أن طلب العلم الشرعي لغير وجه الله كبيرة من الكبائر العظام، وبين لنا العقوبة الشديدة التي أعدها لهذا الصنف، قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم**

(١) البينة: ٥.

علمًا مما يبتغى به وجه الله ـ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا ـ لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» [(١)].

قال رسول الله ﷺ: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، ولا لتجترئوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار» [(٢)].

وقد كان أئمتنا وسلفنا الأبرار يحثون على الإخلاص في طلب العلم الشرعي، ويحذرون من طلب العلم لغير وجه الله تعالى.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا حملة العلم: اعملوا به؛ فإنه سيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتُهم علانيتهم، ويخالف عملُهم علمهم، يجلسون حلقًا يباهي بعضهم بعضًا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه؛ أولئك لا تصعد

(١) صحيح. رواه أحمد. (صحيح الجامع ٦١٥٩).

(٢) صحيح. رواه ابن ماجه. (صحيح الجامع ٧٣٧٠).

أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله»[1].

قال حماد بن سلمة رحمه الله تعالى: «من طلب الحديث لغير الله مُكر به»[2].

قالوا لسفيان الثوري رحمه الله: «من الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ فقال: الزهاد. فقيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يكتبون الحديث يأكلون به الناس»[3].

قال ابن جماعة رحمه الله: «حسن النية في طلب العلم أن يقصد به وجه الله تعالى، والعمل به، وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه، وتحلية باطنه، والقرب من الله يوم القيامة، والتعرض لما أعده لأهله من رضوانه وعظيم فضله، ولا يقصد به الأغراض الدنيوية: مثل تحصيل الرياسة والجاه، ومباهاة الأقران، ونحو ذلك»[4].

(١، ٢) الجامع لأخلاق الراوي.

(٣) إحياء علوم الدين.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم.

واعلم يا أخي: أنه على قدر صدقك مع الله، وإخلاصك له في طلب العلم الشرعي يكون حفظك وسعة علمك.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إنما يحفظ الرجل على قدر نيته».

وقال الثوري: «ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي»[1].

قال ابن القيم رحمه الله ـ وهو يزيد الأمر وضوحًا بقوله ـ: «المطلب الأعلى موقوف حصوله على همة عالية، ونية صحيحة، فمن فقدهما تعذر عليه الوصول إليه، وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه: فالنية تُفرد له الطريق، والهمة تُفرد له المطلوب، وإذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقه غير موصلة إليه، فمدار الشأن على همة العبد ونيته. وهما مطلوبه وطريقه»[2].

فيا أخي ليكن شعارك دائمًا: يا نفس أخلصي تتخلصي.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي.

(٢) الفوائد.

الحرص على العلم ومجالس العلماء

قال ابن القيم: «العلم صناعة القلب وشغله، فما لم تتفرغ لصناعته وشغله لم تنلها، وله وجهة واحدة، فإذا وجهت إلى اللذات والشهوات انصرفت عن العلم، ومن لم يغلب لذة إدراكه العلم وشهوته على لذة جسمه وشهوة نفسه لم ينل درجة العلم أبدًا، فإذا صارت شهوته في العلم ولذته في إدراكه رجي له أن يكون من جملة أهله»[1].

ولذلك كان علماؤنا رحمهم الله تعالى يحرصون على العلم وجمعه حرصًا ليس له نظير.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان يبلغني الحديث عن الرجل من أصحاب النبي ﷺ، فلو أشاء أرسل إليه حتى يجيء فيحدثني لفعلت، ولكني كنت أذهب إليه فأقيل

(١) مفتاح دار السعادة.

على بابه حتى يخرج فيحدثني»[١].

جاء شعبة بن الحجاج إلى خالد الحذاء رحمهما الله «فقال شعبة لخالد: يا أبا منازل عندك حديث كذا وكذا فحدثني به. وكان خالد عليلاً؛ فقال خالد: أنا وجع. فقال شعبة: إنما هو حديث واحد فحدثني به. فحدثه به، فلما فرغ قال له شعبة: مُت الآن إذا شئت»[٢].

قال شعبة رحمه الله: «ما رأيت أحدًا قط يعدو إلا قلت: مجنون أو صاحب حديث»[٣].

قال ابن أبي حاتم: «سمعت المزني يقول: قيل للشافعي رحمه الله: كيف شهوتك للعلم؟ فقال: أسمع بالحرف مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعًا تتنعم بما تنعمت به الأذنان. فقيل له: فكيف حرصك عليه؟ فقال: الجموع المنوع في بلوغ

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) شرف أصحاب الحديث.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي.

لذته للمـال. فقـيل له: فكيف طلبـك له؟ فقـال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره!»[1].

قال سعيد بن جبير: «كنت أسير مع ابن عباس رضي الله عنه في طريق مكة ليـلاً، وكان يحـدثني بالحديث فـأكتبه في واسطة الرحل، حتى أصبح فأكتبه».

قال الشـافعي رحـمه الله: «كنت يتيـمًا في حـجر أمي فدفعتني إلى الكُتَّاب - ولم يكن عندها ما تعطي المعلم - وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها - ولم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به قراطيس - فكنت إذا رأيت عظمًـا يلوح آخذه فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديمة»[2].

قال سليم الرازي: «إن الشيخ أبا حامد الإسفراييني كان في أول أمره يحرس في بعض الدروب، ويُطالع العلم في زيت الحرس، وكان يأكل من أجرة الحرس»[3].

---

(١) توالي التأسيس.

(٢) صحيح جامع بيان العلم.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى.

قال ابن عساكر في ترجمة العبد الصالح أبي منصور محمد بن الحسين النيسابوري رحمه الله: «وجد واجتهد ـ أي: في طلب العلم ـ في فقر وقلة من ذات اليد، حتى إنه كان يُعلق دروسه ويُطالعها في القمر؛ لضيق يده عن تحصيل دهن السراج! وهو مع ذلك يكابد الفقر، ويلازم الورع! ولا يأخذ من مال الشبهة شيئًا»(١) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب؛ فلا تُفارقوا مجالس العلماء»(٢).

قال الفربري رحمه الله: «سمع الصحيح من البخاري معي نحو من سبعين ألفًا لم يبق منهم غيري»(٣).

---

(١) تبيين كذب المفتري.

(٢) مفتاح دار السعادة.

(٣) البداية والنهاية.



قال أبو عبد الله بن بطة: «كنا نحضر في مجلس أبي بكر النيسابوري رحمه الله لنسمع منه الزيادات ـ أي: في الحديث النبوي ـ وكان يُحزر ـ أي: يقدر ـ أن في المجلس ثلاثين ألف محبرة، ومضى على هذا مدة يسيرة، ثم حضرنا مجلس أبي بكر النجار رحمه الله، وكان يُحزر أن في مجلسه عشرة آلاف محبرة»[1] .

□ □ □

(١) تذكرة الحفاظ.

الاتباع

كن سلفيًا على الجادة - طريق السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، فمن بعدهم ممن قفا أثرهم - في جميع أبواب الدين: من التوحيد والعبادات ونحوها، متميزًا بالتزام آثار الرسول ﷺ وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال والمراء والخوض في علم الكلام، وما يجلب الآثام، ويصد عن الشرع.

قال رسول الله ﷺ: **«ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»**[1].

قال رسول الله ﷺ: **«ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقوا اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم**

(١) رواه مسلم. (صحيح الجامع ٣٤٣٠).



في النار إلا ملة واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[1].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة»[2].

قال أبو العالية رحمه الله: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا»[3].

قال الأوزاعي رحمه الله: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[4].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لن تضل ما أخذت بالأثر»[5].

---

(١) صحيح. رواه الترمذي. (صحيح الجامع ٥٣٤٣).

(٢) شرح أصول الاعتقاد.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الإبانة.

قال الإمام مالك بن أنس رحـمه الله: «السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[(١)].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «كل مسألة تكلمت فيها بخلاف السنة فأنا راجع عنها في حياتي، وبعد مماتي»[(٢)].

قال الإمـام أحمـد بن حنبل رحمه الله: «أصـول السنة عنـدنـا: التمسك بما كـان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة»[(٣)].

قال سفيـان الثوري رحمه الله: «لا يستقـيم قول وعمل إلا بموافقته السنة»[(٤)].

وقال أيضًا: «استوصوا بأهل السنة خيرًا؛ فإنهم غرباء»[(٥)].

---

(١) مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة.

(٢) صحيح الفقيه والمتفقه.

(٣) شرح أصول الاعتقاد.

(٤) ميزان الاعتدال.

(٥) شرح أصول الاعتقاد.



الرحلة لطلب العلم

فمن لم يرحل في طلب العلم للبحث عن الشيوخ، والسياحة في الأخذ عنهم، فيبعد تأهُّلُه ليُرحَل إليه؛ لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم وتعليمهم والتلقي عنهم، لديهم من التحريرات والضبط والنكات العلمية والتجارب ما يعز الوقوف عليه، أو على نظائره في بطون الأسفار.

أخبرنا الله عز وجل في محكم التنزيل عن قصة رحيل كليم الرحمن موسى عليه السلام إلى الخضر لطلب العلم منه، وقد جاءت هذه القصة مبسوطة في سنة النبي محمد ﷺ كما في صحيح البخاري.

وقد كان سلفنا الصالح يحثون على الرحلة لطلب العلم ومن ذلك:

سأل عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله أباه: «هل ترى لطالب العلم أن يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه؟ أو

يرحل إلى المواضع التي فيها العلماء فيسمع منهم؟ فقال: يرحل ويكتب عن الكوفيين والبصريين وأهل المدينة ومكة يُشام الناي - أى: يقترب من العلماء ويخاطبهم - يسمع منهم»[1].

الرحلة لطلب العلم تُوسع مدارك المرء ومعلوماته الشرعية؛ لأن العلم الشرعي بحر لا ساحل له، فلا يمكن أن يحويه كله عالم بعينه، وإنما لدى كل عالم طائفة منه؛ فبالرحلة يتعرف المرء على معلومات وفوائد علمية جديدة لم يكن يعرفها سابقًا.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لو أعيتني آية من كتاب الله - أي: لم أفهمها - فلم أجد أحدًا يفتحها علي إلا رجلاً ببرك الغماد - وهو اسم مكان بينه وبين مكة مسيرة خمس ليال - لرحلتُ إليه».

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: «إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»[2].

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث.

(٢) البداية والنهاية.

قـال أبو العـاليـة رحـمـه الله: «كنا نسـمع الرواية عن أصحاب الرسول ﷺ ونحن بالبصرة، فما نرضى حتى نركب إلى المدينة فنسمعها من أفواههم»[١] .

«رحل الإمام محمد بن إسحاق بن منده رحمه الله لطلب العلم وعـمره عشـرون عامًـا، ورجع إلى بلده وعمـره خمس وستون سنة، وكـانت رحلته خمسًـا وأربعين سنة، ثم عاد إلى وطنه شيخًا، فتزوج ورزق الأولاد، وحدث بالكثير»[٢].

قال ابن المديني رحمه الله: «قـيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟! قـال: بنفي الاعـتمـاد، والسـير في البـلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب»[٣] .

قال الحـسن البصري رحمـه الله: «رحلت إلى كعب بن عجـرة من البصـرة إلى الكوفة، فـقلت: ما كـان فداؤك حين

(١) الكفاية في علم الرواية.

(٢) تذكرة الحفاظ.

(٣) المصدر السابق.

أصابك الأذى؟ قال : شاة»[1] .

قال ابن إسحاق رحمه الله : «سمعت مكحولاً الدمشقي يقول : طفت الأرض في طلب العلم»[2] .

قال الذهبي في ترجمة الحافظ ابن منده رحمهما الله : «ولم أعلم أحدًا كان أوسع رحلة منه ، ولا أكثر حديثًا منه ، مع الحفظ والثقة ؛ فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ»[3] .

قال ابن عبد البر رحمه الله : «رحل مسروق بن الأجدع رحمه الله في حرف ، وإن أبا سعيد رحل في حرف»[4] .

ويروى عن الإمام الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي رحمه الله : «أنه بقي في الرحلة ثلاثين سنة»[5] .

قال محمد بن إسحاق الأرغياني رحمه الله : «ما أعلم

(١) الرحلة في طلب الحديث .

(٢) تذكرة الحفاظ .

(٣) سير أعلام النبلاء .

(٤) صحيح جامع بيان العلم .

(٥) تهذيب التهذيب .

منبرًا من منابر الإسلام بقي علي لم أدخله لسماع الحديث»(١).

قال عبدان الجواليقي رحمه الله: «رحلت إلى البصرة ثماني عشرة مرة من أجل حديث أيوب السختياني، كلما ذُكِر لي حديث من حديثه دخلت إليها - أي رحلت إليها - بسببه»(٢).

كان الحافظ أبو العلاء الهمداني رحمه الله: «يمشي في اليوم الواحد ثلاثين فرسخًا، وسافر إلى بغداد وأصبهان مرات كثيرة ماشيًا على قدميه، يحمل كتبه على ظهره»(٣).

رحل الإمام أبو سعد السمعاني رحمه الله «إلى أكثر من مائة مدينة، وأهم رحلاته ثلاث: الرحلة الأولى وكانت مدتها نحو عشر سنوات، والرحلة الثانية وكانت مدتها ست سنوات، والرحلة الثالثة وكانت مدتها أربع سنوات»(٤).

---

(١) تذكرة الحفاظ.

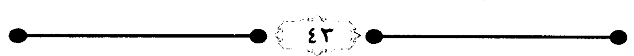
(٢) المصدر السابق.

(٣) طبقات الحنابلة.

(٤) مقدمة كتاب التحبير للمعجم الكبير.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «لقد طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين حتى جمع كتابه المسند»[1].

والآن ها هو كتاب المسند بين أيدينا في أفخر طباعة وأرقى إخراج؛ فلا نحتاج إلى أن نطوف الدنيا لنجمعه، ولكننا نحتاج إلى من يقرأه ويحفظه، فأين هم؟!



(١) صيد الخاطر.

العمل بالعلم

طلب العلم الشرعي ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة إلى المقصود الأكبر، وهو تحصيل خشية الله ومراقبته وتقواه، والعمل بمقتضى هذا العلم، وتحويله من كلام نظري موجود بين صفحات الكتب إلى واقع عملي يعيش بين الناس، ولذلك فكل من طلب العلم لغير العمل به فإنه يُحرم بركة العلم الشرعي وبهاءه، وأجره وثوابه العظيم.

وقد حذرنا النبي ﷺ من ترك العمل بالعلم، فقال: «**مثل الذي يُعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج، يضيء للناس، ويحرق نفسه**»[1].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «تعلموا العلم؛ فإذا علمتم فاعملوا»[2].

---

(١) صحيح. رواه الطبراني. (صحيح الجامع ٥٨٣١).

(٢) اقتضاء العلم العمل.

قال ابن القيم رحمه الله: «العمل بالعلم من أعظم أسباب حفظه وثباته، وترك العمل به إضاعة له؛ فما استُدر العلم ولا استُجلب بمثل العمل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[1].

قال ابن المنكدر رحمه الله: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل».

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله ما منكم من أحد إلا وإن ربه سيخلو به - كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر -، ثم يقول: يا ابن آدم: ما غرك بي؟ - ثلاث مرات - ماذا أجبت المرسلين؟ كيف عملت فيما علمت؟»[2].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وجدت رأي نفسي في العلم حسنًا - فهي تقدمه على كل شيء - إلا أني رأيتها واقفة

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) أخلاق العلماء.

مع صورة التشاغل بالعلم، فصحت بها: فما الذي أفادك العلم؟ أين الخوف؟ أين القلق؟ أين الحذر؟ أوسمعت بأخبار أخيار الأحبار في تعبدهم وتهجدهم؟ أما كان رسول الله ﷺ سيد الكل، ثم إنه قام حتى تورمت قدماه؟ أما كان أبو بكر رضي الله عنه شجي النشج كثير البكاء؟ أما كان في خد عمر رضي الله عنه خطان من آثار الدموع؟ أما كان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة؟ أما كان علي رضي الله عنه يبكي في الليل في محرابه حتى تخضل لحيته بالدموع، ويقول: يا دنيا غُري غيري؟ أما كان الحسن البصري يحيا على قوة القلق؟ أما كان سعيد بن المسيب ملازمًا المسجد فلم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة؟

أما قالت بنت الربيع بن خيثم له: مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟! فقال لها: إن أباك يخاف البيات؟ أما كان أبو مسلم الخولاني يعلق سوطًا في المسجد يؤدب به نفسه إذا فتر؟ أما صام يزيد الرقاشي أربعين سنة، وكان يقول: وا لهفاه! سبقني العابدون، وقُطع بي؟ أما صام منصور بن

المعتمر أربعين سنة؟ أما تعلمين أخبار الأئمة الأربعة في زهدهم وتعبدهم (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد؟) احذري من الإخلاد إلى صورة العلم مع ترك العمل به، فإنها حالة الكسالى الزمنى»[1].

قال الحسن البصري رحمه الله: «وا عجباه من ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف!»[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «ولم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا على العلم الذي يصحبه العمل»[3].

وما أجمل ما قاله الشاعر مبينًا عظم الفتنة بالعالم الذي لا يعمل بعلمه:

فساد كبير عالم متهتك
وأكبر منه جاهل مُتنسك

(١) صيد الخاطر.

(٢) رهبان الليل.

(٣) مفتاح دار السعادة.

هما فتنة في العالمين عظيمة

لمن بهما في دينه يتمسك

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «العلم - الذي هو العلم المتعبد به شرعًا، الذي مدح الله ورسوله ﷺ أهله على الإطلاق - هو العلم الباعث على العمل، الذي لا يُخلي صاحبه جاريًا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل على قوانينه طوعًا أو كرهًا»[1].

وما أجمل ما قاله محمد بن أبي علي الأصبهاني رحمه الله حاثًا على العمل بالعلم:

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل

لا ينفع العلم إن لم يُحسن العمل

والعلم زين وتقوى الله زينته

والمتقون لهم في علمهم شُغُلُ

---

(١) الاعتصام.

وحـــجـــة الله يـا ذا العلـم بالغــــة

لا المكر ينفــعنا فـيـهــا ولا الحـيلُ

نقل ابن القيم عن ابن قتيبة رحمه الله في تعريف الحكمة أنهـا: «إصـابة الحق والعمـل به، وهي العلم النافع، والعـمل الصالح»[1] .

أخي: احذر أن تكـون من علماء السوء: الذيـن جلسوا علىٰ باب الجنة يدعـون الناس إليهـا بأقوالهم، ويدعـونهم إلىٰ النار بأفعالهـم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلمـوا إلىٰ الخير والهدىٰ قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم!! فلو كان ما دعوا إليه صحيحًـا لكانوا أول المستجيبين له في ذوات أنفـسهم. فهؤلاء هم في الصورة أولياء لله، وفي الحقيقة هم قطاع طرق يصدون الناس عن الحق والهدىٰ.

وما أجمل ما قاله أبو الأسود الدؤلي:

(١) مفتاح دار السعادة.

يا أيهـــا الرجل المعلم غـــيـــره
هلا لنفسك كـان ذا التـعـليم
أتراك تـلقح بـالرشـاد عـقـولنا
صـفـة وأنت مـن الرشـاد عـديم
لا تـنه عـن خُـلق وتـأتي مـثـلـه
عـار عـليك إذا فـعـلت عظيم
وابدأ بنفسك فـانهـهـا عن غـيـهـا
فـإذا انتـهـت عنه فـأنت حـكيم
فـهناك تقـبل إن وعظت ويـقـتـدى
بالقـول منك وينـفع التـعـليم[1]

عن أبي بن كعب رحمه الله قال: «تعلموا العلم واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه»[2].

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.

قال مكحـول رحمه الله: «كـان رجل يسأل أبا الدرداء، فقال له: أكل ما تسأل عنه تعمل به؟ قال: لا. قال: فما تصنع بزيادة حجة الله عليك؟!»[1].

وذكر مالك أنه بلغه عن القاسم بن محمد رحمهما الله قال: «أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل!!»[2].

قال الحسن رحمه الله: «اعتبروا الناس بأعمالهم، ودعوا أقوالهم، فإن الله لـم يدع قولاً إلا جعل عليه دليـلاً يصدقه أو يكذبه، فإذا سمعت قولاً حسنًا فرويدًا بصاحبه، فإن وافق قوله عملٌ فنعم ونعمت عين»[3].

قال سفيان الثوري رحمه الله: «العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغـلوا، فإذا شُغلوا فقدوا، فإذا فُقـدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هربوا»[4].

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الزهد لابن المبارك.

(٤) صحيح جامع بيان العلم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كونوا للعلم وعاة، ولا تكونوا له رواة، فإنه قد يَرْعوي ولا يروي، ويروي ولا يرعوي»[1].

قال بشر بن الحارث رحمه الله: «إنما أنت متلذذ تسمع وتحكي!! إنما يُراد من العلم العمل، اسمع وتعلم واعمل وعلّم واهرب، ألم تر إلى سفيان كيف طلب العلم فعلم وعمل وهرب؟! وهكذا العلم إنما يدل على الهرب عن الدنيا، ليس على طلبها»[2].

قال مالك بن دينار رحمه الله: «إن العالم إذا لم يعمل زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا»[3].

قال زياد بن أبي سفيان رحمه الله: «إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان»[4].

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

قال الحسن رحمه الله: «ابن آدم: ما يغني عنك ما جمعت من حكمة الحكماء، وأنت تجري في العمل مجرى السفهاء؟!»[1].

قال وكيع بن الجراح رحمه الله: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين في طلبه بالصوم»[2].

قال منصور بن إسماعيل الفقيه رحمه الله:

إذا كـنـت تـزعـم أن الـفــــــــراق

فــراق الحـيــاة قــريـب قــريـب

وأن المعـــــد جـــــهـــــاز الرحــــيل

ليـوم الرحـيل مــصـيب مـصـيب

وأن المقـــــدم مـــــا لا يـفـــــوت

على مـا يـفـوت مـعـيب مـعـيب

وأنـك فـي ذاك لا تـرعــــــــــوي

فـأمـرك عندي عـجـيب عـجـيب

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.

قال أبو عبد الرحمن العطوي رحمه الله: «أي شيء تركت يا عارفًا بالله للممترين والجهال؟!»[1].

قال أبو العتاهية في أبيات له:

يا ذا الـذي يقــرأ في كــتـبــه
مــا أمــر الله ولا يعــمــلُ
قــد بـين الرحــمن مــقـت الذي
يـأمــر بالحق ولا يفــعــلُ
من كــان لا تشـبــه أفــعــاله
أقــواله فـصــمــتـه أجــملُ
من عــذل الـناس فنفــسـي بما
قـد قـارفت من ذنبــهــا أعــذل
إن الــذي يــنــهـى ويــأتـي الــذي
عنـه نهـى في الحـكم لا يـعــدل

(١) صحيح جامع بيان العلم.

وراكب الذنب على جهله
أعذر ممن كان لا يجهلُ

لا تخلطن ما يقبل الله من
فعل بقول منك لا يُقبل

وقال أيضًا:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا
إن عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

كملبس الثوب من عري وعورته
للناس بادية ما إن يُواريها

وأعظم الذنب بعد الشرك نعلمه
في كل نفس عماها عن مساويها

عرفانها بعيوب الناس تبصرها
منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

وقال سلم بن عمرو المعروف بالجاسر:

ما أقبح التزهيد من واعظ
يزهد الناس ولا يزهد

لو كـــان فـي تزهيـــده صـــادقًـــا
أضـحـى وأمـــسـى بيتـه المســجـد
إن يرفـض الدنيـــا فـــمـــا بـالـه
يســتـــمنـح الناس ويســتــرقـــد
الرزق مـــقـــســــوم علـى مـن ترى
يســـعـى بـه الأبيض والأســـود



تقديم الأولى فالأولى من العلوم

ينبغي لطالب العلم أن يلتمس من العلوم أنفعها، فإن العلوم كالبحار المتعذر نيلها، والمعادن التي لا ينقطع كيلها، والعمر قصير لا يستوعب ذلك كله، فاشتغل بالمهم منه، فإنه من شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم. وقد قيل:

ما أكثر العلم وما أوسعه

من ذا الذي يقدر أن يجمعه

إن كنت لابد له طالبًا

محاولاً فالتمس أنفعه

فإن قلت لي: فهلا أرشدتني إلى منهج متدرج في القراءة والتحصيل العلمي. فأقول لك: نعم ونُعمى عين، فتدبر ما يلي:

١ - **في القرآن الكريم**: أقترح أن يحدد طالب العلم

الشرعي لنفسه مقدارًا معينًا من القرآن يحفظه كل يوم، وليكن هذا المقدار وجهًا كاملاً من القرآن، أو نصف وجه، أو عشر آيات على الأقل، ويا حبذا لو كان الحفظ على يد شيخ متقن لتلاوة كتاب الله، فإن لم يتيسر ذلك فليكن الحفظ بالتعاون مع أحد الزملاء الجادين، فإن ذلك مما يقوي الهمة، ويشحذ العزيمة للحفظ، وليحرص الطالب على مراجعة ما حفظه من القرآن باستمرار، وليكثر من قراءة الآيات التي حفظها في النوافل وقيام الليل، فإن هذا مما يساعد على ثبات المحفوظ ورسوخه في الذهن.

٢ - **في علم التفسير**: أقترح على الطالب أن يقوم كل يوم بقراءة تفسير الآيات التي ينوي حفظها في ذلك اليوم، فإن معرفة المعاني تساعد على الحفظ، ثم بعد حفظ تلك الآيات يقوم بإعادة قراءة تفسيرها مرة أخرى؛ لتثبت المعاني في الذهن، وأقترح أن يبدأ الطالب في علم التفسير بأحد هذين الكتابين: إما «تفسير البغوي»، أو كتاب «زبدة التفسير»، ثم

ينتقل بعـد ذلك إلى «تفسير السـعدي»، ثم ينتقل إلى «تفـسير الشوكاني»، ثم إلى «تفسير ابن كـثير»، ثم ينتقل بعد ذلك إلى كتب التفسير المطولة.

٣ - **في علم الحديث النبوي وفقهه:** أقترح أن يخصص الطالب لنفسه مـقدارًا معينًا من الأحاديث النبـوية يحفظها كل يوم - وليكن هذا المقدار ما بين «٤ - ٦» أحـاديث يوميًا - وإن تيسـر الحفظ على يد شيخ متـقن لعلم الحديث واللغة العـربية فهذا هـو المبتغى، وإلا فليكن الحفظ مع زمـيل ناصح جاد في تحصيله العلم - ليشد كل منهما من أزر الآخر وهمته - وأقترح أن يكون بداية الحفظ في كتاب «الأربعين النووية» وتتمتها للحافظ ابن رجب مع قـراءة شـرح الأحاديث الـتي تحفظ مـن كتـاب مخـتصـر - كشـرح الإمام ابن دقـيق العيـد للأربعين النووية - وبعد الانتهاء من حفظ الأربعين الـنووية يتم الانتقال إلى كتاب «عمدة الأحكام» مع قراءة شرحها في كتاب «تيسير العلام شرح عمـدة الأحكام»، ثم الانتقـال إلى كتـاب «بلوغ المرام من أدلة

الأحكام» مع قراءة شرحه المسمى «سبل السلام»، ثم الانتقال إلى كتاب «المنتقى» للمجد ابن تيمية مع شرحه المسمى «نيل الأوطار من منتقى الأخبار»، ثم إلى كتاب «صحيح البخاري» مع شرحه «فتح الباري»، ثم إلى «صحيح مسلم» مع شرح «النووي»، ثم إلى «سنن أبي داود» مع شرحها المسمى «عون المعبود»، ثم إلى «سنن الترمذي» مع شرحها «تحفة الأحوذي»، ثم إلى سنن النسائي، وابن ماجه، ومسند أحمد، إلى غير ذلك من كتب السنة.

٤ - **في علم التوحيد:** أقترح أن يبدأ الطالب بكتاب «الأصول الثلاثة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مع شرحه للشيخ العثيمين، ثم ينتقل إلى كتاب «أعلام السنة المنشورة» للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله، ثم ينتقل إلى كتاب «لمعة الاعتقاد» للمقدسي مع شرحه للشيخ ابن جبرين، ثم ينتقل إلى كتاب «التوحيد» مع شرحه المسمى «فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد»، ثم ينتقل بعد ذلك إلى كتاب «القواعد

المثلى في شرح أسماء الله الحسنى» لابن عثيمين، ثم ينتقل إلى «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها للشيخ ابن عثيمين، ثم ينتقل الطالب إلى كتب العقيدة الكبار مثل «العقيدة الطحاوية» لأبي جعفر الطحاوي رحمه الله مع شرحها لابن أبي العز رحمه الله، ومثل كتاب «السنة» لابن بطة، وكتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للإمام اللالكائي رحمه الله.

٥ - **في علم الفقه:** أقترح أن يخصص الطالب لنفسه مقدارًا معينًا من المسائل الفقهيه يفهمها ويضبطها كل يوم ـ وليكن هذا المقدار ما بين «٣ - ٧» مسائل يوميًا ـ وأقترح أن يبدأ الطالب بكتاب «الدرر البهية» للشوكاني، ثم ينتقل إلى سماع أشرطة فتاوى «نور على الدرب» لابن باز وابن عثيمين، ثم ينتقل إلى كتاب «الممتع شرح زاد المستنقع» لابن عثيمين، ثم إلى كتاب «المقنع» لابن قدامة، ثم ينتقل إلى كتب الفقه المقارن مثل كتاب «المغني» لابن قدامة وكتاب «المجموع شرح المهذب» للنووي.



٦ - **في السيرة النبوية**: أقترح أن يبدأ الطالب بقراءة كتاب «الرحيق المختوم» للمباركفوري، ثم ينتقل إلى كتاب «هذا الحبيب يا محب» للجزائري، ثم ينتقل إلى كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام، ثم ينتقل إلى كتاب «زاد المعاد» لابن القيم رحمه الله.

٧ - **في التاريخ والتراجم والأخبار**: أقترح أن يبدأ الطالب بقراءة كتاب «صور من حياة الصحابة» للأستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا، ثم كتاب «صور من حياة التابعين» لنفس المؤلف، ثم كتاب «الرقة والبكاء» لابن قدامة، ثم كتاب «الزهد» للإمام أحمد، ثم ينتقل إلى كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير، ثم ينتقل إلى كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ثم إلى كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، وغير ذلك من كتب السير والتراجم.

٨ - **الكتب التربوية والإيمانية**: أقترح أن يبدأ الطالب بقراءة كتاب «التبيان في آداب حمله القرآن» للنووي، ثم ينتقل

إلى كتاب «مختصر منهاج القاصدين» للمقدسي، ثم ينتقل إلى كتاب «استنشاق نسيم الأنس» لابن رجب، ثم ينتقل إلى كتاب «الفوائد» لابن القيم، ثم ينتقل إلى كتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي، ثم ينتقل إلى كتاب ا«لجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، ثم ينتقل إلى كتاب «التخويف من النار» لابن رجب، ثم ينتقل إلى كتاب «مدارج السالكين» لابن القيم، إلى غير ذلك من الكتب الإيمانية النافعة.

هذه الأقسام السبعة هي الركائز الأساسية في بناء شخصية الطالب الإيمانية والعلمية، وأما العلوم الأخرى التي تعرف عند العلماء «بعلوم الآلة» ـ كعلم النحو، وعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث ـ فأقترح ألا يُشغل الطالب بها في بدايات الطلب، لأنها علوم صعبة نسبيًا، فربما لو شرع فيها الطالب وهو لازال في بدايات الطلب لوجدها عسيرة وصعبة فينفر عن طلب العلم الشرعي ويدعه بالكلية، ولكن ليؤجلها إلى الوقت المناسب.



الحفظ وأهميته

الحفظ نعمة من الله تعالى أنعم بها على عباده، والناس فيها على مراتب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وله فيه حكمة عظيمة.

قال ابن القيم رحمه الله: «تأمل حكمة الله عز وجل في الحفظ والنسيان ـ الذي خص به نوع الإنسان ـ وما له فيهما من المصالح، فإنه لولا القوة الحافظة التي خص بها لدخل عليه الخلل في أموره كلها، ولم يعرف ما له وما عليه، ولا ما أخذ ولا ما أعطى، ولا ما سمع ورأى ولا ما قيل له، ولا ذكر من أحسن إليه ولا من أساء إليه، ولا من عامله، ولا من نفعه فيقرب منه ، ولا من ضره فينأى عنه، ثم كان لا يهتدي إلى الطريق الذي سلكه أول مرة ولو سلكه مرارًا، ولا يعرف علمًا ولو درسه عمره، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئًا على ما مضى، بل كان خليقًا أن ينسلخ من الإنسانية أصلاً؛

فتأمل عظيم المنفعة عليك في هذه الخلال، وموقع الواحدة منها - فضلاً عن جميعهن - ومن أعجب النعم عليه نعمة النسيان، فإنه لولا النسيان، لما سلا شيئًا، ولا انقضت له حسرة، ولا تعزى عن مصيبة، ولا مات له حزن، ولا بطل له حقد، ولا تمتع بشيء من متاع الدنيا - مع تذكر الآفات - ولا رجا غفلة عدو، ولا نقمة من حاسد؛ فتأمل نعمة الله في الحفظ والنسيان مع اختلافهما وتضادهما، وجعلِه في كل واحد منهما ضربًا من المصلحة»[1].

فبالحفظ يدرك الإنسان العلم وينتفع به، وطالب العلم من أكثر الناس حاجة للحفظ وكثرة القراءة؛ فكثرة القراءة تكسبه سعة الاطلاع، وبالحفظ يحوز العلم في صدره، فلا تكفي القراءة بلا حفظ.

«فالاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتر، وحرف تحفظه بقلبك أنفع لك من ألف حديث في دفترك، وقد

(١) مفتاح دار السعادة.

كان علم الأصمعي في قمطر إلا أنه كان حفظًا»[1].

«فأهل العلم لا يستغـنون عن الحفظ ولو قل، وقد كان ابن الفرات لا يترك يومًا إذا أصبح أن يحفظ شيئًا وإن قل»[2].

فينبـغي لطالب العلم أن يكون جل همـته مصـروفًا إلى الحفظ والإعادة، فلو صح صرف الزمان إلى ذلك كان أولى.

❑ ❑ ❑

(١) الحث على طلب العلم.

(٢) المصدر السابق.

ومن أراد أن يحفظ العلم فعليه: أن يقصد بالحفظ ابتغاء وجه الله تعالى، والنصيحة للمسلمين في الإيضاح والتبيان.

تجنب ارتكاب المحرمات ومواقعة الأمور المحظورات.

«سأل رجل مالك بن أنس: يا أبا عبد الله: هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي»[1].

قال بشر بن الحارث رحمه الله: «إن أردت أن تلقن العلم فلا تعصِ»[2].

قال علي بن خشرم رحمه الله: «سألت وكيعًا قلت: يا أبا سفيان: تعلم شيئًا للحفظ؟ قال: أراك وافدًا، ثم قال: ترك المعاصي عون على الحفظ»[3].

(١) حسن. رواه ابن عساكر.

(٢) الجامع للبغدادي.

(٣) حفظ العلم.



وأنشد أبو طالب يحيى بن علي الدسكري رحمه الله لبعضهم:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأومأ لي إلى ترك المعاصي
وقال بأن حفظ الشيء فضل
وفضل الله لا يدركه عاصي

قال ابراهيم النخعي رحمه الله: «من سره أن يحفظ الحديث فليحدث به ـ ولو أن يحدث به من لا يشتهيه ـ فإنه إذا فعل ذلك كان كالكتاب في صدره»[1].

قال إسماعيل بن إبراهيم بن مجمع بن جارية رحمه الله: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل»[2].

قال الشعبي رحمه الله: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه بالصوم»[3].

---

(١) الجامع للبغدادي.

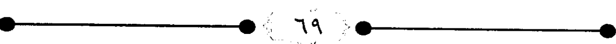
(٢) صحيح الفقيه والمتفقه.

(٣) صحيح جامع بيان العلم.

أوقات الجوع أحمد للحفظ من أوقات الشبع، وينبغي للمتحفظ أن يتفقد من نفسه حال الجوع، فإن بعض الناس إذا أصابه شدة الجوع والتهابه لم يحفظ، فليطفئ ذلك من نفسه بالشيء الخفيف اليسير، قال رسول الله ﷺ: **«ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلثًا طعامًا، وثلثًا شرابًا، وثلثًا لنفسه»**(١).

وصدق من قال: «القلوب ترب، والعلم غرسها، والمذاكرة ماؤها، فإذا انقطع عن الترب ماؤها جف غرسها»(٢).

قال علي بن المديني رحمه الله: «لما ودعت سفيان قال: أما إنك ستُبتلى بهذا الأمر، وإن الناس سيحتاجون إليك، ولتحسن نيتك فيه»(٣).



(١) صحيح. رواه أحمد. (صحيح الجامع ٥٦٧٤).

(٢) الجامع للبغدادي.

(٣) حفظ العلم.

كـثرة الكلام واللغـو والثرثرة مـظنة الوقوع في الغـيبـة والنميـمة، والكذب والبهـتان، وغير ذلك من آفـات اللسان، وكل هذه المعـاصي والآفات هي قـاتلة للهمـة، قاطعـة لطريق طالب العلم، فـإن العلم الشـرعي شريف عـزيز؛ لا يحل في قلب ممتلئ بالمعاصي والمحرمات.

كثرة الـكلام واللغو والثرثرة سبب لقـسوة القلب، وإذا قسا القلب تكاسل عن الطاعـات - ومنها طلب العلم الشرعي - ومال وركن إلى المحرمات، أو على أحسن الأحوال إلى التوسع في فضول المباحات: ككثرة الأكل والشرب، والنوم، والجماع.

إذا تعود المرء على كـثرة الكلام والثرثرة واللغـو لم يعد قادرًا على العكوف على كتب أهل العلم وقـراءتها، بل يصبح همه ومبـتغاه العثور على غـافل مثله ليُثرثرا بالكلام، ويُضـيعا

الساعات الطوال فيما لا ينفع.

واستمع إلى هذه الوصية الغالية من الرسول ﷺ للصحابي الجليل عقبة بن عامر رضي الله عنه حين قال للرسول ﷺ: ما النجاة؟ فقال له:

[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[2].

«وكان سلفنا الصالح يحفظون ألسنتهم، ويحثون غيرهم على ذلك، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه «يقبض بيده على لسانه ويجره، ويقول: أوردني الموارد»[3].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره: ما على الأرض شيء أحق بطول حبس من هذا اللسان»[4].

(١) صحيح. رواه الترمذي (٢٤٠٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) الزهد للإمام أحمد.

(٤) الفوائد.



عن الأحنف بن قيس رحمه الله قال: «قال عمر بن الخطاب: يا أحنف: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه»[1] .

قال أبو حاتم رحمه الله: «الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا سكت، وأطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاءً من ابتلي بلسان مطلق، وفؤاد مطبق»[2] .

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: «ما بلي أحد في دينه ببلاء أضر عليه من طلاقة لسانه»[3] .

وأنشد الكريزي:

أقلل كلامك واستعذ من شره

إن البلاء ببعضه مقرونُ

(١) روضة العقلاء.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

واحفظ لسانك واحتفظ من غيه
حتى يكون كأنه مسجون
وكل فؤادك باللسان وقل له
إن الكلام عليكما موزون
فزناه ولْيكُ مُحكمًا ذا قلة
إن البلاغة في القليل تكون

وأنشد البغدادي محمد بن عبد الله بن زنجي:

أنت من الصمت آمنُ الزلل
ومن كثر الكلام في وجل
لا تقل القول ثم تتبعه
يا ليت ما كنتُ قلتُ لم أقل

واعلم أخي أن الكلام ينقسم إلى أربعة أقسام:

١ - **القسم الأول**: وهو ضرر وشر خالص، وهذا كالغيبة والنميمة وسائر المعاصي، فهذا القسم الواجب السكوت عنه، وحفظ اللسان من الوقوع فيه.

فيه ضرر ومنفعة، وذلك كمن يتكلم
بكلام فيه نصيحة وتوجيه للخير، ويخلطه ببعض الغيبة المحرمة، ويرش عليه قليلاً من السخرية والاستهزاء ببعض الناس. فهذا القسم الواجب السكوت عنه؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

لا منفعة فيه ولا مضرة، وذلك
كالحديث عن لون كلب أهل الكهف ماذا كان؟ أو كالحديث عن تفاصيل الأمور الدنيوية المباحة التي لا يترتب على الحديث فيها مصلحة للمرء، أو الإكثار من الضحك والمزاح. فهذا القسم السنة المتأكدة السكوت عنه، وحفظ اللسان منه، كما قال رسول الله ﷺ: [1].

إذن فثلاثة أرباع الكلام ينبغي السكوت عنه.

هو منفعة محضة، وذلك كالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والنصيحة

(١) صحيح. رواه الترمذي.

للمسلمين، وغيـر ذلك من العبادات والطاعات القوليـة. فهذا هو القسم الممدوح والمحـمود، بشرط أن يسلم المرء عند الكلام من قصد الرياء والسمعة، وحب الثناء والمدح.

والله المستـعان على حفظ اللسـان، وهو وحده سبـحانه عليه التكلان.

❑ ❑ ❑

عمن يؤخذ العلم؟

ينبغي للطالب أن يقدم النظر، ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، ليكن إن أمكن ممن كملت أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته وعُرِفت عفته، واشتُهِرت صيانته، وكان أحسن تعليمًا وأجود تفهمًا، ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين، أو عدم خلق جميل. قال بعض السلف: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه»[1].

ويكون قد وسم نفسه بآداب العلم: من استعمال الصبر والحلم والتواضع للطالبين، والرفق بالمتعلمين، ولين الجانب، ومُداراة الصاحب، وقول الحق، والنصيحة للخلق، وغير ذلك من الأوصاف الحميدة، والنُعوت الجميلة، وقد جاء عن علي

(١) صحيح الفقيه والمتفقه.



ابن أبي طالب رضي الله عنه خبر جمع فيه ما فصلناه، وأشرنا إليه مما أجملناه.

فليس كل من تصدى للعلم صار عالمًا، ولا من تجرأ على الفتوى دخل في زمرة الفقهاء، ولا من طالت لحيته زادت معرفته، ولا من كبر سنه عظم شأنه، فالجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعالم كبير وإن كان حدثًا.

فهذا الإمام مالك رحمه الله يقول: «لقد أدركت بهذا البلد - يعني المدينة - مشيخة لهم فضل وصلاح وعبادة يحدثون ما سمعت من واحد منهم حديثًا قط! قيل: لِمَ يا أبا عبد الله؟! قال: لم يكونوا يعرفون ما يحدثون»[1].

وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله «قيل له: متى يفتي الرجل؟! قال: إذا كان عالمًا بالأثر، بصيرًا بالرأي»[2].

قال عيسى ابن مريم عليه السلام: «جالسوا من تذكركم

(١) الجامع.

(٢) صحيح الفقيه والمتفقه.

بالله رؤيتـه، ومن يزيد في علمكم منطقـه، ومن يرغـبكم في الآخرة»[1].

قال الشـعبي رحمـه الله: «جالسوا العلمـاء: فإنكم إن أحـسنتم حـمدوكم، وإن أسـأتم تأولوا لكم وعـذروكم، وإن أخطأتم لم يعنفوكـم، وإن جهلتم علموكم، وإن شـهدوا لكم نفعوكم»[2].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «إن الله يحب العالم المتواضع، ويبغض العالم الجبار»[3].



(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الآداب الشرعية .

من الأسباب المعينة على تحصيل العلم، والتقدم فيه جمع الكتب، والنظر فيها، فكثرة المطالعة لا تحول الأحمق عاقلاً، ولا البليد ذكيًا، ولكن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف.

ولهذا قال ابن المبارك رحمه الله: «من أحب أن يستفيد فلينظر في كتبه»[1].

فالكتاب حاضر نفعه، مأمون ضره، ينشط بنشاطك فينبسط إليك، ويمل بملالك فينقبض عنك، إن أدنيته دنا، وإن أنأيته نأى، لا يبغيك شرًا، ولا يفشي سرًا، ولا ينم عليك، ولا يسعى بنميمة إليك:

نعم المحدث والرفيق كتاب

تلهو به إن خانك الأصحاب

(١) الجامع للبغدادي.

لا مـفـشـيًا للسـر إن أودعتـه
وينـال منه حكمـة وصـواب

فاجعل الكتاب جليسك في الوحدة، وأنيسك في الخلوة.

قال الشيخ محمد الطباخ فى ترجمة العلامة الأديب النحوي الوزير أبي الحسن القفطي الحلبي رحمه الله: «إنه لما أقام بحلب كان يسعى كل السعي في شراء الكتب، واقتنائها من البلدان البعيدة، وتوافد عليه الوراقون والنساخون وباعة الكتب من كل حدب وصوب، وكان يبذل فيها الأثمان العالية، ويجزل فيها العطاء، فتتوجه إليه من شتى البقاع والأصقاع، حتى اجتمعت له مكتبة جامعة نادرة المثال»[1].

قال ابن حجر فى ترجمة الإمام ابن القيم رحمهما الله: «وكان مغرى بجمع الكتب، فحصل منها ما لا يحصى، حتى كان أولاده يبيعون بعد موته دهرًا طويلاً، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم»[2] .

(١) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.

(٢) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة.

خلف الإمام يحيى بن معين رحمه الله من الكتب مائة قمطر وأربعة عشر قمطرًا وأربعة حباب شرابية مملوءة بالكتب.

قال ابن رجب فى ترجمة المحدث ابن الخشاب البغدادى رحمهما الله: «ذكر ابن النجار: أنه لم يمت أحد من أهل العلم وأصحاب الحديث إلا وكان يشتري كتبه كلها، فحصلت له أصول المشايخ عنده، وكان لا يخلو كمُه من كتب العلم»[1].

حكى المنذري قال: «كان الحافظ السلفي رحمه الله مُغرى بجمع الكتب، وما حصل له من المال يُخرجه في ثمنها، وكان عنده خزائن كتب لا يتفرغ للنظر فيها»[2].

قال الذهبي في ترجمة القاضي عبد الرحيم بن علي اللخي رحمهما الله: «وبلغنا أن كتبه التى ملكها بلغت مائة ألف مجلد، وكان يحصلها من سائر البلاد»[3].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى.

(٣) سير أعلام النبلاء.

قال علقمة بن قيس النخعي: «تذاكروا الحديث، فإن حياته ذكره»[١] .

«كان سعيد بن المسيب رحمه الله يعاتب تلاميذ الأوزاعي ويقول لهم: ما لكم لا تجتمعون؟! ما لكم لا تتذاكرون؟!»[٢] .

قال الذهبي في ترجمة العبد الصالح محمد بن عبد الله السلمي المرسي رحمه الله: «كتب وقرأ وجمع من الكتب النفيسة كثيرًا، ومهما فتح به عليه صرفه فى ثمن الكتب»[٣] .

قال علي بن شفيق رحمه الله: «قمت مع عبد الله ابن المبارك في ليلة باردة لنخرج من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرته، فمازال يُذاكرني حتى جاء المؤذن فأذن للفجر»[٤] .

(١) الجرح والتعديل.

(٢) الجامع للبغدادي.

(٣) سير أعلام النبلاء.

(٤) تذكرة الحفاظ.

قال فضيل بن غـزوان رحمه الله: «كنا نجلس أنا و . . . و . . . وعدد ناسًا نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمع النداء بصلاة الفجر»[1] .

قيل لأبي العباس أحمد بن يحيى رحمه الله: «توحشت من الناس جـدًا، فلو تركت لزوم البيت بعض التـرك، وبرزت للناس كانوا ينتفعون بك، وينفعك الله بهم. فسكت ساعة، ثم أنشأ يقول:

إن صـــحـــبـنا الملـوك تاهـوا علينـا
واسـتـخـفـوا كـبـرًا بـحق الجليس
أو صـــحـــبـنا التـــجـــار صـــرنا إلى
البـؤس وعـدنا إلى عـداد الفلوس
فلزمـنا البـــيـوت نســتــخـرج الـعلم
ونمـلأ بـــه بـطـــون الـطـــروس[2]

(١) تذكرة الحفاظ.

(٢) صحيح جامع بيان العلم.

وروي عن الحسن اللؤلؤي أنه قال: «لقد غبرت لي أربعون عامًا ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري»[١].

ومما يحفظ قديمًا:

العلم آنس صاحب أخلو به في وحدتي

فإذا اهتممت فسلوتي وإذا خلوت فلذتي

قال بعض الوزراء: «يا غلام ائتني بأنس الخلوة، ومجمع السلوة. فظن جلساؤه أنه يستدعي شرابًا، فأتاه بسفط فيه كتب»[٢].

«وكان أبو بكر الخياط النحوي يدرس جميع أوقاته - حتى في الطريق - وكان ربما سقط في جرف، أو خبطته دابة»[٣].

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) تقييد العلم.

(٣) المصدر السابق.

قـال ابن الجوزي: «فـسـبـيل طالب الكمـال في العلم الاطلاع على الكتب التي قد تخلقت من المصنفات، فليكثر من المطالعـة، فإنه يرى من علوم القـوم وعلو هممـهم ما يشـحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة، وإني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره فكأني وقعت على كنز، ولقـد نظرت في فهرس الكتب الموقوفـة في المدرسة النظامـية فإذا به يحـتوي على سـتة آلاف مجلد، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مـجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب، فـاستفدت بالنظر فـيها من ملاحظـة سير القوم وقدر هممهم، وحفظهم وعـبادتهم، وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يُطالع»[1] .

قال ابن الأعرابي واصفًا الكتب:

لنـا جُلسـاء مـا نملُ حـديثـهم

ألبـاءُ مـأمـونون غـيـبًا ومـشـهـدًا

(١) صيد الخاطر.

فإن قلت أموات فما أنت كاذبًا

وإن قلت أحياء فلست مُفندًا

قال القاضي الجرجاني رحمه الله واصفًا حبه للقراءة والمطالعة:

ما تطعمت لذة العيش حتى

صرت للبيت والكتاب جليسًا

ليس شيء عندي أعز من العلم

فما أبتغي سواهُ أنيسًا

إنما الذل في مخالطة الناس

فدعهم وعش عزيزًا رئيسًا

حكى ابن خلكان قال: «وكانت لأبي الحسن الفالي المحدث نسخة جيدة من كتاب الجمهرة لابن دريد، فاضطرته الفاقة والفقر إلى بيعها، فكتب عليها قبل أن يبيعها أبياتًا يقول فيها:

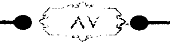
أنست بها عشرين حولاً وبعتها

لقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شئوني

ثم باعها فاشتراها منه الشريف المرتضى بستين دينارًا، فلما تصفح الكتاب وجد فيه تلك الأبيات المحزنة، فرد الكتاب إلى أبي الحسن الفالي، وترك له الدنانير»[1].

قال الخطيب البغدادي: «ومع ما في الكتب من المنافع العميمة، والمفاخر العظيمة، فهي أكرم مال، وأنفس جمال، والكتاب آمن جليس، وأسر أنيس، وأسلم نديم، وأفصح عليم»[2] .



(١) وفيات الأعيان.

(٢) تقييد العلم.

الصبر وتحمل المشاق والمصاعب لطلب العلم

إن مَنْ أحب شيئًا سعى إلى تحصيله بكل وسيلة ممكنة، وضحى في سبيله بالغالي والرخيص، وصبر على كل مشقة وعقبة تعترض وصوله إلى مطلوبه، بل إنه قد يتلذذ باجتياز تلك العقبات والصعاب، والصبر عليها، لأنها ستوصله إلى مراده ومطلوبه .

قال محمد بن طاهر رحمه الله: «لقد بُلتُ الدم في طلب الحديث مرتين: مرة ببغداد، ومرة بمكة؛ وذلك أني كنت أمشي حافيًا في حر الهواجر بهما، فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث إلا مرة، وكنت أحمل كتبي على ظهري»[1] .

قال ابن المديني للشعبي رحمه الله: «من أين لك هذا العلم كله؟! فقال: بنفي الاعتماد على الغير، والسير في

(١) تذكرة الحفاظ.

البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب»[1].

عن إسحاق بن راهويه رحمه الله قال: «لما خرج الإمام أحمد إلى عبد الرزاق بن همام الصنعاني رحمهما الله لطلب العلم عليه في صنعاء نفدت نفقة الإمام أحمد، فأكرى أحمد نفسه من بعض الجمالين ـ أي: عمل أجيرًا لديهم؛ ليُحصل بعض المال ـ إلى أن وصل صنعاء، وكان أصحاب أحمد قد عرضوا عليه المساعدة والمواساة، فلم يقبل منهم شيئًا، وقال أحمد بن سنان الواسطي: بلغني أن أحمد رهن نعله عند خباز على طعام اشتراه منه عند خروجه من اليمن»[2].

ورحم الله من قال:

من يصطبر للعلم يظفر بنيله
ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومن لم يُذل النفس في طلب العلا
يسيرًا يعش دهرًا طويلاً أخا ذل

---

(١) تذكرة الحفاظ.

(٢) مناقب الإمام أحمد.

قال الشافعي رحمه الله: «لا يطلب أحد هذا العلم بالكبر وعز النفس فيفلح، ولكن مَنْ طلبه بذُل النفس، وضيق العيش، وخدمة العلماء أفلح. وقال: لا يُدْرَكُ العلم إلا بالصبر على الذل»[1].

قال شعبة بن الحجاج رحمه الله: «بعتُ طست أمي بسبعة دنانير ـ أي لأجل طلب العلم ـ»[2].

قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: «بقيت بالبصرة ثمانية أشهر سنة أربع عشرة ومائتين، وكان في نفسي أن أقيم سنة ـ أي: لأطلب العلم ـ فانقطعت نفقتي، فجعلت أبيع ثياب بدني شيئًا بعد شيء!! حتى بقيت بلا نفقة»[3].

عن أبي حاتم الرازي رحمه الله قال: «رحلت إلى مصر، فلما رأيت كثرة العلم بها عزمت على الإقامة، فأرسلت إلى كاتب مصر لينسخ لي كتب الشافعي ـ وكنت قد اشتريت من

(١) المجموع للنووي.

(٢) تذكرة الحفاظ.

(٣) الجرح والتعديل.

مصر ثوبين لأفصلهما وأخيطهما لنفسي إذا رجعت إلى بلدي ـ فلما عزمت على نسخ كتب الشافعي لم يكن لدي مال، فبعت الثوبين بستين درهمًا، فاشـتريت ورقًا بعشرة دراهم، وأعطيت الباقي للكاتب الذي كتب لي كتب الشافعي»[1] .

قال أبو علي الحـسن بن علي البلخي رحمـه الله: «لقد كنت بعسـقلان أسمع من ابن مـصحح وغيره، فـضاقت علي النفقة، وبقيت أيامًا بلا أكل، فـأخذت لأكتب فعجزت ـ أي: لشدة الجوع ـ فـذهبت إلى دكان خباز، وقـعدت بقربه؛ لأشم رائحة الخبز وأتقوى بها، ثم فتح الله علي»[2] .

قال البخاري رحمه الله: «خرجت إلى آدم بن أبي إياس في عسقلان ـ أي: لأطلب العلم عنده ـ فتـأخرت نفقتي حتى جعلتُ أتناول حـشيش الأرض ـ ولا أخبر بذلك أحـدًا ـ فلما كان اليوم الثالث أتاني رجل لا أعرفه فأعطاني صرة فيها دنانير،

(١) الجرح والتعديل .

(٢) تذكرة الحفاظ .

وقال: أنفقها على نفسك»[١] .

قال ابن القاسم رحمـه الله: «أفضى طلب العلم بالإمام مالك إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد - أي: وسع الله عليه رزقه منها - وقال مالك: لا ينال هذا الأمر - أي: العلم - حتى يذاق فيه طعم الفقر»[٢] .

حكى الحافظ بن حـجر العسقـلاني قال: «وباع زياد بن عبد الله البكائي رحمـه الله داره، وخرج مع ابن إسحاق يدور على العلماء والحلق حتى سمع منه كتاب المغازي»[٣] .

قال عيسى بن موسى المتوكل رحمه الله: «مكثت ثلاثين سنة أشتهي أن أشارك العامـة في أكل هريسة السوق، فلا أقدر على ذلك؛ لأجل البكور إلى سماع الحديث»[٤] .

قال عـبيد الله بن يعـيش رحمه الله: «مـا أكلت بالليل

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى.

(٢) ترتيب المدارك.

(٣) تهذيب التهذيب.

(٤) تاريخ بغداد.

بيدي منذ ثلاثين سنة، إنما كانت أختي تلقمني الطعام، وأنا مشغول بكتابة حديث رسول الله ﷺ»[1].

قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام النووي رحمه الله: «وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد صلاة العشاء الآخرة، وكان يشرب شربة واحدة عند السحر»[2].

قال عمر بن حفص الأشقر: «فقدنا الإمام البخاري رحمه الله أيامًا من كتابة الحديث بالبصرة، قال: فطلبناه، فوجدناه في بيته وهو عُريان، وقد نفد ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبًا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث»[3].

ورحم الله من قال:

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

(١) الجامع للبغدادي.

(٢) تذكرة الحفاظ.

(٣) تاريخ بغداد.

«رحل الإمام عبد الله بن فروخ القيرواني إلى أبي حنيفة رحمهما الله ليطلب العلم على يديه، فبينما عبد الله جالس في دار أبي حنيـفة إذ سقطت آجُـرة من أعلى دار أبي حنيـفة على رأسه فشجته وسال الدم منه، فقال لي أبو حنيفة: اختر الأرش ـ أي: الدية وقيمة الجناية ـ أو ثلاثمـائة حديث؟ فقلت: أختار ثلاثمائة حديث، فحدثني بها»[1] .

عن ابن خزيمة بن علي قـال: «سقطت أصابع عـمر بن عـبد الكريم الرواسي رحـمه الله في الـرحلة لطلب العلم من شدة البرد»[2] .

قال ابن المقرئ رحمه الله: «مشيت بسبب نسخة المفضل ابن فضالة سـبعين مرحلة، ولو عُرضت على خـباز برغيف لم يقبلها، ودخلت بيت المقدس عشر مرات»[3] .

(١) ترتيب المدارك.

(٢) تذكرة الحفاظ.

(٣) المصدر السابق.

قال حجاج بن الشاعر رحمه الله: «جمعت لي أمي مائة رغيف فجعلتْها في جراب، وأرسلتني إلى شبانة ـ وهو أحد المحدثين العلماء ـ بالمدائن، فأقمت ببابه مائة يوم ـ كل يوم أجيء برغيف أغمسه في دجلة فآكله ـ فلما نفدت ـ أي: الأرغفة ـ خرجت ـ أي: رجعت إلى أمي ـ»[1].

قال إبراهيم بن عمر الجعيري رحمه الله: «كنت في أول الأمر ـ أي في بداية طلبي للعلم ـ أشتري جزرًا بفلس أتقوت به ثلاثة أيام»[2].

قال عبد الله بن أبي داود رحمهما الله: «دخلت الكوفة ـ أي: رحلت إليها لطلب العلم ـ ومعي درهم واحد، فاشتريت به ثلاثين مُدًا من باقلاء ـ أي: الفول ـ فكنت آكل منه، وأكتب عن الأشج عبد الله بن سعيد الكندي، فما فرغ الباقلاء حتى كتبتُ عنه ثلاثين ألف حديث ما بين مقطوع ومُرسل»[3].

(١) تذكرة الحفاظ.

(٢) فوات الوفيات.

(٣) تذكرة الحفاظ.

قال رقبة بن مصقلة للأعمش رحمهما الله: «إن إتيانك لذلٌ، وإن الجلوس عندك لحسرة، وما أشبهك إلا بدواء المشي يحتمل ما فيه من الكراهة لما يُرجى فيه من المنفعة»[1].

❑ ❑ ❑

(١) الحث على طلب العلم.

مجاهدة النفس وإكراهها على طلب العلم

لو أن المرء لم يطلب العلم إلا إذا مالت نفسه إليه، ورغبت فيه، فربما لن يطلب العلم الشرعي أبدًا طوال حياته، أو على أحسن الأحوال سيطلب العلم فترة قصيرة ثم يدعه ويُعرض عنه، لكن بالمجاهدة وإكراه النفس على تحصيل العلم، وإرغامها على طلبه تلين النفس، وتنقاد لهذا العلم وتحبه، وتصبح عاشقة له، تتلذذ بسماع مسائله، وقراءة كتبه، ومناقشة تفاصيله، فأين المجاهدون الصادقون؟!

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بمجاهدة أنفسنا لله، فقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[1] ووعد الله سبحانه وتعالى من جاهد نفسه وهواه لله بالمعونة والنصر والتأييد، والهداية للطريق القويم، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

(١) الحج: ٧٨.

لنهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وإنَّ اللَّه لمع الْمُحْسنين﴾ [(١)] .

وأخبرنا الرسول ﷺ أن مجاهدة النفس وإكراهها على الطاعات من أعظم أنواع الجهاد فى سبيل الله؛ قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله» [(٢)] .

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «أحب الأعمال إلى الله ما أكرهت عليه النفوس» [(٣)] .

قال ابن المبارك رحمه الله: «إن الصالحين قبلنا كانت تواتيهم أنفسهم على فعل الخيرات، ونحن لا تُواتينا أنفسنا إلا أن نكرهها» [(٤)] .

قال الفضل بن سعيد رحمه الله: «كان رجل يطلب العلم فلم يقدر عليه، فعزم على تركه، فمر ذات يوم مرة بماء

(١) العنكبوت: ٦٩ .

(٢) صحيح. رواه الترمذي. (صحيح الجامع ٦٦٧٩).

(٣) محاسبة النفس.

(٤) إيقاظ الهمة للسعيدان.

ينحدر من رأس جبل على صخرة صماء صلبة، وقد أثر الماء فيها، فقال لنفسه: الماء على لطافته قد أثر في الصخرة على ثقلها وكثافتها، والله: لأواصلن طلب العلم، ولأجاهدن النفس عليه. فطلب العلم فأدرك ما أدرك».

وقد أحسن القائل فى ذلك:

فقل لمرجي معالي الأمور

بغير اجتهاد رجوت المحالا

قال محمد بن المنكدر رحمه الله: «كأبت نفسي أربعين سنة حتى استقامت لي»[1].

قال الجنيد رحمه الله: «ما طلب أحد شيئًا بصدق وجِدٍّ إلا ناله، فإن لم ينله كله نال بعضه»[2].

---

(١) صفة الصفوة.

(٢) الجامع للبغدادي.

اللجوء إلى الله في الطلب والتحصيل

فيا أيُها الطالبُ: ضاعف الرغبة، وافزع إلى الله في الدعاء، واللجوء إليه، والانكسار بين يديه، وقد أمرنا الله بدعائه واللجوء إليه، فقال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

وشوقنا جل وعلا لدعائه، والانكسار بين يديه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2].

قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»[3].

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) حسن. رواه أحمد. (صحيح الجامع ٥٣٩٢).

وقال أيضًا: «الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»[1].

وقال أيضًا: «إن الله تعالى حيي كـريم؛ يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين»[2].

وقال أيضًا: **«الدعاء هو العبادة»**. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

وكان سلف الأمة الأبرار، وأئمتها الأخيار يلجأون إلى الله تعالى، ويدعونه في كل أحوالهم وشئونهم، ومن ذلك إذا أشكلت عليهم مسألة علمية، أو عسر عليهم فهمها، فكان الله عز وجل يستجيب لهم، ويفتح عليهم من خزائن علمه وفضله وجوده.

وكان شيخ الإسلام ابن تيـمية رحمه الله كثـيرًا ما يقول

(١) حسن. رواه الحاكم. (صحيح الجامع ٣٤٠٩).

(٢) صحيح. رواه الترمذي. (صحيح الجامع ١٧٥٨).

(٣) صحيح. رواه أبو داود. (صحيح الجامع ٣٤٠٧).

في دُعائه إذا استعصى عليه تفسير آية من كتاب الله تعالى: «اللهم يا معلم آدم وإبراهيم، ويا مفهم سليمان فهمني. فيجد الفتح في ذلك»[١].

فيا أخي: الجأ إلى ربك ومولاك، وانطرح على بابه جل وعلا، وتذلل له وانكسر لعظمته وجلاله، واسأله التوفيق والتسديد؛ فإنه لا يحدث في هذا الكون شيء إلا بإذنه ومشيئته، ولا يستطيع العبد مهما بلغ من التقى والصلاح أن ينال شيئًا من الخير والبر إلا بتوفيق الله ومعونته.

❑ ❑ ❑

---

(١) فتاوى ابن تيمية جـ٤.

المحافظة على رأس مالك

وهو ساعات عُمُرك، فالمحافظة على الوقت بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب والاشتغال بالعلم قراءة ومطالعة وتدبرًا وحفظًا وبحثًا لاسيما في أوقات شرخ الشباب، ومُقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم الفرصة لتنال رُتب العلم العالية.

قال الحسن البصري رحمه الله: «أدركت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه»[1].

قال ابن القيم رحمه الله: «وقت الإنسان هو عُمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة

(١) شرح السنة.

والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته»[1].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه: نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي»[2].

قال طيفور البطامن في الوقت المتمثل في الليل والنهار: «إن الليل والنهار رأس مال المؤمن، ربحها الجنة، وخسرانها النار»[3].

ولما كانت الأوقات أقل من الواجبات، كان همام ابن الحارث رحمه الله يريد أن يطول وقته ليضاعف من العمل فيه؛ لذلك كان يدعو فيقول: «اللهم اشفني من النوم باليسير، وارزقني سهرًا في طاعتك»[4].

---

(١) الجواب الكافي.

(٢) الوقت أنفاس لا تعود.

(٣) الزهد للبيهقي.

(٤) سير أعلام النبلاء.

قالت رابعة العدوية لسفيان الثوري رحمهما الله تعظه: «إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل، وأنت تعلم فاعمل»[1].

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله: «كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة جديدة إلى الآخرة»[2].

وقال بعض الحكماء: «من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله ـ أي: ورثه ـ أو حمد حصَّله، أو خير أسنه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه، وظلم نفسه».



(١) صفة الصفوة.

(٢) جامع العلوم والحكم.

إياك ومجالسة المبتدعين

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله من الابتداع في الدين، فقال عز وجل: ﴿ **اتَّبِعُوا ما أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَّبِّكُم ولا تَتَّبِعُوا من دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وأَنَّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [٢].

قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**» [٣].

وقال أيضًا: «**من رغب عن سنتي فليس مني**» [٤].

(١) الأعراف: ٣.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) متفق عليه. (صحيح الجامع ٥٩٧٠).

(٤) رواه البخاري برقم ٥٠٦٣ كتاب النكاح.

وقال أيضًا: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[١].

والبدع منشؤها الشُبَه، واعتمادها على محض العقل، ورد النصوص الثابتة. ولاشك أن من يجالس المبتدع أو يوده معرض لخطر الإصابة بشر بدعته، وإن لم يصب بها فأقل أحواله أن يتشكك فيما يعتقد، لما يلقيه عليه ذلك المبتدع؛ وقد كان دأب السلف الصالح عدم الجلوس إلى أهل البدع، وكانوا يتركون الرواية عنهم؛ ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله: «**لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم**»[٢].

قال سفيان الثوري رحمه الله: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يتاب منها»[٣].

---

(١) صحيح. رواه أحمد. (صحيح الجامع برقم ١١٣٥).

(٢) رواه الدارمي بسند حسن.

(٣) شرح أصول الاعتقاد.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر، ولا يُرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»[1].

قال أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي رحمه الله: «قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم»[2].

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في أهل القدر: «أخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرآءُ مني»[3].

قال أبو قلابة: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء، فإني لا آمن من أن يغمسوكم في ضلالهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون»[4].

---

(١) شرح أصول الاعتقاد.

(٢) شرح السنة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) شرح أصول الاعتقاد.

الزم التواضع

ومن أفضل آداب المتعلم تواضعه، وترك الإعجاب بعلمه، ونبذ حب الرئاسة عنه.

قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[1].

وقال أيضًا: «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته. وإذا تكبر قيل للملك: دع حكمته»[2].

قال عبد الله بن المعتز: «المتواضع من طلاب العلم أكثر علمًا، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء»[3].

(١) رواه مسلم. (صحيح الجامع ٥٨٠٩).

(٢) حسن. رواه الطبراني. (صحيح الجامع ٥٦٧٥).

(٣) صحيح جامع بيان العلم.



قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن العبد إذا تواضع لله رفعه الله تعالى بحكمه، وقيل له: انتعش نعشك الله فهو في نفسه حقير، في أعين الناس كبير»(١).

قال إبراهيم بن الأشعث رحمه الله: «سألت الفضيل بن عياض رحمه الله عن التواضع فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له ممن سمعته، ولو كان أجهل الناس لزمك أن تقبله منه»(٢).

والتواضع تواضعان: أحدهما محمود، والآخر مذموم.

التواضع المحمود: ترك التطاول على عباد الله، والإزراء بهم.

التواضع المذموم: هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه.

قال أبو حاتم: «لا يمتنع أحد من التواضع، والتواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد،

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.

وثمرة التواضع المحبة، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته، وكيف لا يتواضع من خُلِق من نطفة مذرة، وآخره يعود جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة؟!»[1].

والتواضع لله عز وجل على ضربين:

أحدهما: تواضع العبد لربه عندما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله، ولا راء له عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية، إلا أن يكون المولى عز وجل هو الذي يتفضل عليه بذلك، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفي العجب عن الطاعات.

والثاني: هو ازدراء المرء نفسه، واستحقاره إياها عند ذكر ما قارف في المآثم، حتى لا يرى أحدًا من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات، وفوقه في الجنايات.

اعلم أن التواضع يرفع المرء قدرًا، ويعظم له خطرًا، ويزيده نبلاً.

---

(١) روضة العقلاء.

ملازمة خشية الله تعالى

التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى محافظًا على شعائر الإسلام، وإظهار السنة، ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها، دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحليًا بالرجولة والمساهلة والسمت الصالح.

وملاكُ ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله: «أصل العلم خشية الله» فالزم خشية الله في السر والعلن؛ فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم.

قال سفيان الثوري رحمه الله: «ليس العلم طلب فلان عن فلان، إنما العلم خشية الله»[1].

وقالت امرأة للشعبي رحمه الله: «أيها العالم: أفتني.

(١) مواعظ سفيان.

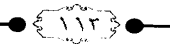
فقال: إنما العالم من خاف الله عز وجل»[1].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2].

«عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يعني بالعلماء: الذين يخافون قدرته، فمن علم بأن الله قدير أيقن بمعاقبته على المعصية. وقال الربيع بن أنس رحمه الله: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم. وقال مجاهد رحمه الله: إنما العالم من خشي الله عز وجل. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كفى بخشية الله علمًا، وبالاغترار جهلاً. وقيل لسعد بن إبراهيم رحمه الله: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربه عز وجل. وعن مجاهد رحمه الله: إنما الفقيه من يخاف الله عز وجل. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله عز

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) فاطر: ٢٨.



وجل، ولم يؤمنهم من عـذاب الله، ولم يدع القرآن رغـبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبـادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها...»[1].

عن محمـــد بن القاسم رحمه الله قال: «كنـا نسافر مع ابن المبارك، فكثيـرًا ما كان يخطر ببالي فـأقول في نفسي: بأي شيء فـضل هذا الرجل علـينا حـتى اشـتـهـر في الناس هذه الشـهـرة؟! إن كـان يصلي إنا لنـصلي، ولئن كـان يصـوم إنّا لنصوم، وإن كـان يغزو فإنا لنغـزو، وإن كان يحج إنا لنحج. قال: فكنا في بـعض مسيـرنا في طريق الشام ليلة نتـعشى في بيت إذ طفئ السراج، فقام بعـضنا فأخذ السراج، فنظرت إلى وجه عبـد الله بن المبارك ولحيته قد ابـتلت بالدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشيـة فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين انطفأ السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة»[2].

(١) تفسير القرطبي.

(٢) الزهد لابن المبارك.



دوام المراقبة

التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن، سر إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر، فأقبل على الله بكليتك، وليمتلئ قلبُك بمحبته، ولسانك بذكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحكمه سبحانه، وينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل، وفي العمل: هل حركه عليه هوى النفس؟ أو المحرك له هو الله تعالى خاصة؟ فإن كان لله تعالى أمضاه، وإلا تركه، وهذا هو الإخلاص.

قال سفيان الثوري رحمه الله: «لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا. قال: فإن معكم من يرفع الحديث»[1].

قال وهب بن منبه رحمه الله في حكمة آل داود: «حق على العاقل أن لا يشغل نفسه عن أربع ساعات: ساعة يناجي

(١) مواعظ سفيان.

فيها ربه ويحاسب فيها نفسه، وساعة يُفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ولا يحرم، فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات، وإجمام للقوة، وهذه التي هو مشغول فيها بالمطعم والمشرب، ولا ينبغي أن تخلو عن عمل هو أفضل الأعمال: وهو الذكر والفكر؛ فإن الطعام الذي يتناوله فيه من العجائب ما لو تفكر فيه كان أفضل من كثير من أعمال الجوارح»[1] .

ليكن شعارك في حياتك يا أخي هذا القول العظيم: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» تستقم لك أمور الحياة كما يريد الله ويرضى، وإن ما يعتري المؤمنين من انحراف وضعف، وإسراف على النفس، وتفريط في حق الله - إن ذلك كله يعود إلى ضعف المراقبة.

إن المسلم الذي يتصرف في حياته متصورًا أن الله مطلع

(١) مختصر منهاج القاصدين.

على ظاهره وباطنه، يعلـم السر وأخـفى، وأنه أقرب إليـه من حبل الوريد، وأنه يعلم خائنة الأعين ومـا تخفي الصدور - إن الذي يتـصرف بناء على هذا التـصور لا يمكن أن يعـصي الله، ولا أن يخـالف مـا أمـره به، ولا أن يكون حـيث نهـاه الله، وبذلك تجري شئون حياته وفق شرع الله.

قال حميد الطويل لسليمان بن علي رحمهما الله: «عظني. فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك فلقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت»[1].

اعلم أن حقيقة المراقـبة هي ملاحظة الرقيب، وانصراف الهم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقب فلانًا ويراعي جانبه.

❑ ❑ ❑

(١) تهذيب الإحياء.

تحلَّ بالمروءة

التحلي بالمروءة وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وغيره.

قال الشافعي رحمه الله: «أركان المروءة أربعة: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك»[1].

قال محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله: «المروءة: الدين والصلاح»[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: «المروءة: استعمال ما يجمله ويزينه، وتجنب ما يدنسه ويشينه»[3].

قال البغوي رحمه الله: «والمروءة شرط - أي: في العدالة - وهي ما يتصل بآداب النفس مما يُعلم أن تاركه قليل الحياء،

(١) مواعظ الشافعي.

(٢) المروءة وخوارمها.

(٣) المصدر السابق.

وهي حسن الهيئة والسيـرة والعِشرة والصناعة، فإن كان الرجل يظهر من نفسه شيئًا ـ مما يستحي أمثاله من إظهاره في الأغلب ـ يعلم به قلة مروءته، وترد شهادته»[1].

قال الفضيل بن عيـاض رحمه الله: «كامل المروءة من بر والديه، وأصلح ماله، وأنـفق من ماله، وحسن خلقـه، وأكرم إخوانه، ولزم بيته»[2].

قال عمـر بن الخطاب رضي الله عنه: «كرم المرء تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خُلُقُه»[3].

قال أبو حاتم رحـمه الله: «اختلفت ألفاظهم في كيـفية المروءة ـ ومعـاني ما قـالوا قريبـة بعضهـا من بعض ـ والمروءة عندي خصلتـان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الـفعال، واستعمال ما يحب الله والمسلمون»[4].

(١) تفسير البغوي جـ١.

(٢) مواعظ الفضيل.

(٣) المروءة وخوارمها.

(٤) روضة العقلاء.



قال محمد بن علي بن الحسين رحمه الله: «كمال المروءة: الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن تدبير المعيشة»[1].

قال ابن سلام رحمه الله: «حد المروءة: رعي مساعي البر، ورفع دواعي الضر، والطهارة من جميع الأدناس، والتخلص من عوارض الالتباس، حتى لا يتعلق بحاملها لوم، ولا يلحق به ذم، وما من شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا، ويبعث على شرف الممات والمحيا إلا وهو داخل تحت المروءة»[2].

وأنشد أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله:

وإذا جلست وكان مثلك قائمًا

فمن المروءة أن تقوم وإن أبى

وإذا اتكأت وكان مثلك جالسًا

فمن المروءة أن تزيل المتكا

وإذا ركبت وكان مثلك ماشيًا

فمن المروءة أن مشيت كما مشى

(١) أدب الدنيا والدين.

(٢) المروءة وخوارمها.



عليك بالزهد تكن أعلم الناس

إن الزهد في الحلال، وترك الدنيا مع القدرة عليها أفضل من الرغبة في حلالها، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء والمسلمين قديمًا وحديثًا.

قال الفضيل رحمه الله: «جعل الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيوت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»[1] .

اعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة.

قال سفيان الثوري رحمه الله: «الزهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر، ومن لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره»[2].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين.

(٢) مواعظ سفيان.

قال الشافعي رحمه الله: «عليك بالزهد؛ فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد»[1].

وكان بعض السلف رحمهم الله يقول: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن»[2].

قال مالك بن دينار رحمه الله: «قلت للحسن البصري: ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا؟ فقال: موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى رسمه»[3].

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات المخلصين، والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبًا فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبًا فيه، ولا مطلوبًا في نفسه لم يسم زاهدًا، فمن ترك التراب لا يسمى زاهدًا.

(١) مواعظ الشافعي.

(٢) مختصر منهاج القاصدين.

(٣) البداية والنهاية.

اعلم يا أخي أن حب الدنيا والتعلق بها، والإعراض والغفلة عن الدار الآخرة من أعظم العوائق التي تصرف المرء عن طلب العلم، وتحول بينه وبين التبحر والرسوخ فيه.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «**إنما الزهد في الحلال، وأما الحرام فنار تسعر**»[1] .

عن إبراهيم بن الأشعث رحمه الله قال: «**سألت الفضيل ابن عياض عن الزهد فقال: الزهد القناعة، وفيها الغنى**»[2] .

ومن أعلى درجات الزهد أن لا يزهد في الدنيا للتخلص من الآلام، ولا للرغبة في نيل اللذات، بل لطلب لقاء الله تعالى، بالإضافة إلى لذات الجنة.

❏ ❏ ❏

(١) مواعظ عمر بن عبد العزيز.

(٢) صحيح جامع بيان العلم.

الزم القناعة

ينبغي لطالب العلم أن يكون قانعًا منقطع الطمع عن الخلق، غير ملتفت إلى ما في أيديهم، ولا حريص على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس.

قال ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»[١].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أربع قد فرغ منها: الخَلْق، والخُلُق، والرزق، والأجل؛ وليس بأحد أكسب من أحد»[٢].

قال أكثم بن صيفي رحمه الله لابنه: «يا بني من لم يأس على ما فاته ودع بدنه، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه»[٣].

---

(١) رواه مسلم. (صحيح الجامع ٤٣٦٨).

(٢) روضة العقلاء.

(٣) المصدر السابق.

قال الشافعي رحمه الله:

إذا مــــــا كنـت ذا قـلــب قـنــوع

فــأنت ومــالك الدنيــا ســواء[1]

وكان محمد بن واسع رحـمه الله يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله، ويقول: «من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد»[2].

قال أبو حاتم رحمـه الله: «القناعة تكون بالقلب؛ فمن غني قلبه غنيت يداه، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه، ومن قنع لم يتسخط، وعاش آمنًا مطمئنًا، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائت نهاية لرغبته، والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد»[3].

وأنشد ابن زنجي البغدادي:

أقــول لـلنفس صـبــــرًا عند نائبــة

فـعسـر يومك مـوصول بيـسر غـد

(١) مواعظ الشافعي.

(٢) تهذيب الإحياء.

(٣) روضة العقلاء.

مـا سـرني أن نفسي غـيـر قـانعة
وأن أرزاق هـذا الخلـق تحت يـدي

وأنشد محمد بن إسحاق الواسطي:
الحـمـد لله حـمـدًا دائمـًا أبدًا
لقـد تزين أهـل الحـرص والشين

لا زيـن إلا لـراضٍ فـي تـقـلـلـه
إن القـنوع لثـوب العـز والـدين

وأنشد عبد العزيز بن سليمان الأبرش:
إذا المرء لـم يقـنع بـعـيش فـإنه
وإن كـان ذا مـال من الفـقر مـوقـر

إذا كـان فـضل الـناس يغنيك بـينهم
فـأنت بفـضل الله أغـنى وأيسـر

وأنشد ابن عائشة:
غنى النفس يغني الـنفس حتى يعـفهـا
وإن مسـهـا حـتى بها يـضرر الفـقر

ومـا شـدة فـاصـبـر لهـا إن لقـيتـهـا
بدائمـة إلا سـيـتـبـعـهـا يـسـر

عليك بأثقل شيء في الميزان

قال رسـول الله ﷺ: «**أثقل شيء في الميـزان الخلق الحسن**»[1].

وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[2].

وقـال ﷺ أيضًـا: «**إن الرجل ليـدرك بحـسن خلقـه درجات قائم الليل، صائم النهار**»[3].

وقال أيضًا: «**خير ما أعطي الناس خلق حسن**»[4].

قال يوسف بن أسـباط رحمه الله: علامـة حسن الخلق عشر خصال:

(١) قلة الخلاف.

(١) حسن. رواه الترمذي. (صحيح الجامع ١٣٤).

(٢) صحيح. رواه أحمد. (صحيح الجامع ١٢٣٠).

(٣) صحيح. رواه الحاكم. (صحيح الجامع ١٦٢٠).

(٤) صحيح. رواه النسائي. (صحيح الجامع ٣٣٢١).

(٢) حسن الإنصاف.

(٣) ترك طلب العثرات.

(٤) تحسين ما يبدو من السيئات.

(٥) التماس المعذرة.

(٦) احتمال الأذى.

(٧) الرجوع بالملامة على النفس.

(٨) التفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره.

(٩) طلاقة الوجه للصغير والكبير.

(١٠) لطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

وسئل سهل عن حسن الخلق فقال: «أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة، والرحمة للظالم والاستغفار له، والشفقة عليه»[١].

وقيل: «إن أويسًا القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة، فكان يقول لهم: يا إخوتاه: إن كان ولابد فارموني

(١) تهذيب الإحياء.

بالصغار، حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة»[1] .

أخي: احتسب أجر التحلي بالصفات الحسنة، وقُدْ نفسك إلى الأخذ بها، وجاهد في ذلك، واحذر أن تدعها على الحقد والكراهية، وبذاءة اللسان، وعدم العدل، والغيبة والنميمة، والشح، وقطع الأرحام.

وعجبت لمن يغسل وجهه خمس مرات في اليوم مجيبًا داعي الله، ولا يغسل قلبه مرة في السنة ليزيل ما علق بها من أدران الدنيا، وسواد القلب، ومنكر الأخلاق.

قالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله: «يا مرائي. فقال: يا هذه: وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة»[2] .

قال رسول الله ﷺ: «**أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا**»[3] .

---

(١) تهذيب الإحياء.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حسن. رواه أحمد. (صحيح الجامع ١١٧٦).

قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف»[1].

❑ ❑ ❑

(١) حسن. رواه الطبراني في الأوسط. (صحيح الجامع ١٢٣١).

الصدق شرف النفس

صدق اللهجة عنوان الوقار، وشرف النفس، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، ورسول المودة من الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة، ولهذا كان فرض عين، فيا خيبة من فرط فيه، ومن فعل فقد مس نفسه وعلمه بأذى[1] .

قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[2] .

قال وكيع رحمه الله: «هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق»[3] .

(١) فتاوى ابن تيمية جـ ٢.

(٢) متفق عليه. (صحيح الجامع ١٦٦٥).

(٣) الجامع للبغدادي.

قال الأوزاعي رحـمه الله: «تعلم الصدق قـبل أن تتعلم العلم».

قال أبو حاتم رحمه الله: «إن الله عز وجل فضل اللسان على سائر الجوارح، ورفع درجته، وأبان فـضيلته بأن أنطقه من بين سـائر الجوارح بتـوحيـده، فلا يـجب للعاقل أن يعـود آلة خلقها الله للـنطق بتوحيده الكذب، بل يجب المداومـة برعايته بلزوم الصـدق، وما يعـود عليه نفـعه في داريه؛ لأن اللـسان يقتضي ما عود: إن صدقًا فصدقًا، وإن كذبًا فكذبًا»[1].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما من مضغة أحب إلى الله من لسان صـدوق، وما من مضـغة أبغض إلى الله من لسان كذوب»[2].

وأنشد المنتصر بن بلال:

تحـدث بصـدق إن تحـدثت ولـيكن
لكل حـديث من حـديثك حين

(١) روضة العقلاء.

(٢) المصدر السابق.

فـما القـول إلا كـالثياب فـبـعـضهـا
عليك وبعض في التخـوت مصون

وأنشد محمد بن إسحاق الواسطي:

وإذا الأمـــــــور تـزاوجـت
فـــالصـــدق أكـــرمـهـــا نتـــاجًـا
الصــــدق يعـــقـــد فــــوق رأ
س خليـــفـــة بـالصـــدق تـاجًـا
والـصــــــدق يـقــــدح زنـده
في كـل ناحـــيـــة ســــراجًــا

ولقد أحسن القائل:

عـــود لسـانـك قـول الخـيـر تحظ به
إن اللســـان لما عـــودت مـعـتـــاد
مـــوكل بتـــقـــاضي مـــا سننت له
فـاختـر لنفسك وانظر كـيف ترتاد

❑ ❑ ❑

احذر من المراء والجدال

قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسُن خُلُقُه»(١).

قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»(٢).

قال رسول الله ﷺ: «المراء فى القرآن كفر»(٣).

قال رسول الله ﷺ: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان - وعسى أن يكون خيرًا - فالتمسوها في

(١) حسن. رواه أبو داود. (صحيح الجامع ١٤٦٤).

(٢) حسن. رواه الترمذي. (صحيح الجامع ٥٦٣٣).

(٣) صحيح. رواه أبو داود. (صحيح الجامع ٦٦٨٧).

التاسعة والسابعة والخامسة»[١].

قال الشافعي رحمه الله: «المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن»[٢].

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «قد أفلح من عصم من المراء، والغضب، والطمع»[٣].

وحد المراء هو: كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه: إما في اللفظ، وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته: فإن كان حقًا فصدق به، وإن كان باطلاً أو كذبًا - ولم يكن متعلقًا بأمور الدين - فاسكت عنه.

قال الذهبي: «قال النووي رحمه الله: اعلم أن الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل. قال الله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم

(١) رواه البخاري. (صحيح الجامع ٣٢٢٦).

(٢) مواعظ الشافعي.

(٣) مواعظ عمر.

بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**[2] ، وقال تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[3] ، قال: فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودًا، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذمومًا، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه»[4].

قال بعض السلف: «ما رأيت شيئًا أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أشغل للقلب من الخصومة».

أخي: ابتعد عن الجدال وإن كنت محقًا؛ فإن الجدال مدخل من مداخل الشيطان، وامتثل للحق ولو أمام الناس، ولا تظن أن ذلك يقلل من شأنك، بل يرفعه، وذلك حتى لا تكون متكبرًا عن الامتثال للحق.

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) غافر: ٤.

(٣) العنكبوت: ٤٦.

(٤) الكبائر للذهبي.

غربة العلم الشرعي في هذا الزمان

إن العلم الشرعي يعيش في هذا الزمان غربة حقيقية وأزمة فعلية، فالمسلمون في هذه الأيام كثيرون، ولكن كم هم الملتزمون بأحكام الإسلام من بين هؤلاء الكثيرين؟! إنهم قليل من كثير. وتأمل: كم عدد الذين يطلبون العلم من بين هؤلاء الملتزمين؟! إنهم قليل من قليل. وتأمل هؤلاء الذين يطلبون العلم: كم عدد المخلصين فيهم: الذين يطلبون العلم ابتغاء وجه الله، لا طمعًا في شهادة، أو منصب، أو وظيفة؟! إنهم قليل من قليل من قليل.

قال هشام الدستوائي رحمه الله: «والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يومًا قط أطلب الحديث أريد به وجه الله. فقال الذهبي معلقًا: والله: ولا أنا. فقد كان السلف يطلبون العلم لله، فنبلوا وصاروا أئمة يقتدى بهم، وقوم طلبوه بنية

فاسدة لأجل الدنيا، وليُثنى عليهم فلهم ما نووا»[1].

قال محمد بن سيرين رحمه الله: «ذهب العلم، وبقيت منه شذرات في أوعية شتى»[2].

قال عمران بن حصين: «سألت الحسن البصري عن شيء، فقلت له: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا. فقال: وهل رأيت فقيهًا بعينك؟! إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه»[3].

قال عبيد بن جناد رحمه الله: «سمعت سفيان بن عيينة رحمه الله، وسألوه أن يُحدِّث، فقال: ما أراكم للحديث موضعًا، ولا أراني لأن يؤخذ عني أهلاً، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال الأول: افتضحوا فاصطلحوا»[4].

وقال أبو الحسن الفالي رحمه الله واصفًا غربة الطلاب

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الزهد للإمام أحمد.

(٤) سير أعلام النبلاء.

والمتعلمين في عصره:

لما تبدلت المجالس أوجُهًا
غير الذين عهدتُ من علمائها
أنشدت بيتًا سائرًا متقدمًا
والعين قد شرقت بمجرى مائها
أما الخيام فإنها كخيامهم
وأرى نساء الحي غير نسائها

قال الإمام جلال الدين الشيرازي رحمه الله: «لو علم الأسلاف أنه يخلف من بعدهم من الأجلاف، لأوصوا أن تدفن كتبهم معهم في قبورهم، بل لم يُظهروا قط ما في صدورهم»[1].

وتأمل هؤلاء المخلصين من طلبة العلم اليوم، كم عدد الذين يطلبون العلم منهم بصدق وجدية وتوسع؟! وكم عدد الذين يستحقون فعلاً أن يُسموا علماء، أو طلبة علم من هؤلاء

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار.

المخلصين؟! وكم منهم يحفظ عشرة آلاف حـديث، بل خمسة آلاف حديث بل ألف حديث؟!! إنهم قليل من قليل.

❑ ❑ ❑

أهمية علم الحديث

علم الحديث هو الشريعة؛ لأنه مبين للقرآن، وموضح للحلال والحرام، وكاشف عن سيرة الرسول ﷺ، وسير أصحابه؛ فهو علم الصدر الأول، والذي عليه بعد القرآن المعول، وهو لعلوم الإسلام أصل وأساس، وهو المفسر للقرآن.

ولما كان أكثر الأحكام لا سبيل إلى معرفته إلا من جهة النقل، لزم النظر في حال الناقلين، والبحث عن عدالة الراوين، فمن ثبتت عدالته جازت روايته، وإلا عُدِل عنه، والتمس معرفة الحكم من جهة غيره، لأن الأخبار حكمها حكم الشهادة في أنها لا تقبل إلا عن الثقات[1].

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[2] فكيف بحال من تهجم على رسول الله ﷺ؟

(١) الجامع للبغدادي.

(٢) الحجرات: ٦.

وتعمد عليه الكذب؟ وقوله ما لم يقل؟ وقد قال ﷺ: «من روى عني حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» - فإنا لله وإنا إليه راجعون - هذه بلية عظيمة، وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب، فحق على المحدث أن يتورع فيما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذًا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم، مع التقوى والدين المتين والإنصاف، والتردد إلى مجالس العلماء، والتحري والإتقان[1].

فأهم أنواع العلوم: تحقيق الأحاديث النبوية الشريفة - أعني معرفة متونها وأسانيدها، وما يتعلق بها - ودليل ذلك أنَّ شرعنا مبني على الكتاب العزيز والسنن المروية، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهية، وقد اتفق العلماء على أنَّ من شرط

(١) تذكرة الحفاظ.

المجتهد - من القاضي والمفتي - أن يكون عالمًا بالأحاديث المتعلقة بالأحكام؛ فثبت أنَّ الاشتغال بالحديث متأكد، وأنَّه أفضل أنواع الخيرات، وآكد القربات.

قال سفيان الثوري رحمه الله: «ما أعلم عملاً أفضل من طلب الحديث؛ لمن أراد به الله عز وجل»(١).

قال الشافعي رحمه الله: «إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ - جزاهم الله خيرًا - هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل»(٢).

كان أكثر اشتغال العلماء في الأعصار الماضية به، حتى لقد كان يجتمع في المجلس الواحد من مجالس الحديث الآلاف الكثيرة من الطالبين له، فتناقص ذلك في هذه الأزمان، وضعفت الهمم، فلم يبق إلا آثار قليلة من آثارهم، بل ذهب في هذا الوقت أثره، واضمحل ذكره وخبره، فالله المستعان

---

(١) مواعظ سفيان.

(٢) مواعظ الشافعي.

على هذه المصيبة، وغيرها من المصـائب؛ وبالجملة فيتأكد على من فيه أهليـة الاعتناء به، والتحريض علـيه، لما ذكرناه، ولأن ذلك أيضًا من النصيحة لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك هو الدين كـمـا صح عن رسـول الله ﷺ، وقد قـال بعضـهم: من جمع أدوات الحـديث استنار قلبـه، واستـخرج كنوزه الخفية؛ وذلك لكثرة فوائده الظاهرة والكامنة.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «من لم يعرف حديث رسول الله ﷺ بعد سماعه، ولم يميز بين صحيحه وسقيمه، فليس بعالم»[1].

قال عـبد الرحمن بن مـهدي رحمـه الله: «لا يجوز أن يكون الرجل إمامًا حتى يعلم ما يصح مما لا يصح».

وأحسن من قال:

قل لمـن عــاند الحــديث وأضــحى
عــائبًــا أهله ومن يـدعــيــه

(١) الجامع للبغدادي.

أبعلم تقـــول هذا أبن لي

أم بجهل فالجهل خلق السفيه

أيعاب الذين هم حفظوا الد

ين من الترهات والتمويه

وإلى قولهم وما رووه

راجع كل عالم وفقيه[1]

وصدق من قال:

عليكم بالحديث فليس شيء

يعادله على كل الجهات

نصحت لكم فإن الدين نصح

ولا أخفي نصائح واجبات

وجدنا في الرواية كل فقه

وأحكامًا ومن كل اللغات

بذكر المسندات أنست ليلي

وحفظ العلم خير الفائدات

(١) شرف أصحاب الحديث.

ومن طلب الحديث أفاد زخرًا
وفضلاً ثم دينًا ذا ثبات[1]

فأهل الحديث هم أفضل من تكلم في الأرض؛ كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «ليس قوم عندي خير من أهل الحديث، ليس يعرفون إلا الحديث»[2].

قال أبو ثور لأبي زرعة الرازي رحمهما الله: «لم يزل هذا الأمر في أصحابك حتى شغلهم إحصاء عدد رواة: «من كذب علي متعمدًا». فغلبهم هؤلاء القوم عليه - يعني: أصحاب الحديث»[3].

❑ ❑ ❑

(١) شرف أصحاب الحديث.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

آداب الطالب مع المعلم

١ - هيبة الطالب للعالم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «مكثت سنتين وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عن المتظاهرتين على رسول الله ﷺ، وما أجد له موضعًا أسأله فيه، حتى خرج حاجًا وصحبته، حتى إذا كان بمر الظهران وذهب لحاجته، قال: أدركني بإداوة من ماء. فلما قضى حاجته ورجع أتيته بالإدواة أصبها عليه، فرأيت موضعًا، فقلت: يا أمير المؤمنين: من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله ﷺ؟ فما قضيت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة»[1].

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: لم يمنع ابن عباس من سؤال عمر عن ذلك إلا هيبة له.

(١) رواه البخاري ومسلم.

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: «قلت لسعد بن مالك: إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني أهابك. قال: لا تهبني يا ابن أخي، إذا علمت أنَّ عندي علمًا فاسألني عنه. قال: قلت: قول رسول الله ﷺ لعليٍّ في غزوة تبوك حين خلفه. فقال سعد: قال رسول الله ﷺ: **«يا علي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»**[(١)].

عن طاوس رحمه الله قال: «من السُّنة أن توقر العالم»[(٢)].

ويضرب لنا الإمام الشافعي رحمه الله مثلاً من سلوكه في حضرة أستاذه الإمام مالك رحمه الله فيقول: «كنت أتصفح الورق بين يدي مالك برفق لئلا يسمع وقعها»[(٣)].

٢- التواضع له:

عن الشعبي رحمه الله قال: «ذهب زيد بن ثابت ليركب ووضع رجليه في الركاب، فأمسك ابن عباس بالركاب، فقال:

(١) صحيح. أخرجه عبد الرزاق في المصنف.

(٢) صحيح. أخرجه عبد الرزاق في المصنف.

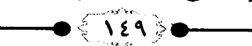
(٣) مواعظ الشافعي.

تنح يا ابن عم رسول الله. قال: لا. هكذا يفعل بالعلماء والكُبراء»[1].

٣- رعاية حرمة المعلم:

فعليك إذًا بالتحلي برعاية حُرمته، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخك محل إجلال منك، وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الأدب مع شيخك، في جُلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفُح الكتاب أمامه، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنبًا الإكثار من السؤال - لاسيما مع شهود الملأ - ولا تناده باسمه مُجردًا، أو مع لقبه - كقولك: يا شيخ فلان - بل قل: يا شيخي، أو يا شيخنا - فإنه أرفع في الأدب - والتزم توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس، والإفادة به، واحذر أن تمارس معه ما يُضجرُهُ.

(١) رواه البغدادي في الجامع بسند صحيح.



قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من حق العالم: أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تُعنتهُ في الجواب، ولا تُلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفش لهُ سرًا، ولا تغتب عندهُ أحدًا، وأن تجلس أمامهُ، وإذا أتيته خصصتهُ بالتحية، وسلمت على القوم عامة، وأن تحفظ سرهُ ومغيبهُ - ما حفظ الله - فإنما العالم بمنزلة النخلة تنظر متى يسقُطُ عليك منها شيء، والعالم أفضل من الصائم الغازي في سبيل الله، وإذا مات العالم شيعه سبعة وسبعون ألفًا من مقربي السماء، وإذا مات العالم انثلم بموته في الإسلام ثلمة لا تسد إلى يوم القيامة»[1].

٤ - آداب أخرى مع المعلم:

قال شعبة رحمه الله: «كل من سمعت منه حديثًا فأنا له عبد»[2].

---

(١) صحيح الفقيه والمتفقه.

(٢) صحيح جامع بيان العلم.

قال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله: «إذا أردت أن يكذبك الشيخ فلقنه»[1].

عن ميمون بن مهران رحمه الله قال: «لا تمار عالمًا، ولا جاهلاً، فإنك إن ماريت عالمًا خزن عنك علمه، وإن ماريت جاهلاً خشن صدرك»[2].

وعن الزهري رحمه الله قال: «كان أبو سلمة يماري ابن عباس، فحرم بذلك علمًا كثيرًا»[3].

وأنشد يوسف بن هارون لنفسه في قصيدة له:

وأجله في كل عين علمه

فيرى له الإجلال كل جليل

ولذلك العلماء كالخلفاء عند

الناس في التعظيم والتبجيل

---

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وقال الحكماء: «إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول»[1].

قال الحسين بن علي لابنه رضي الله عنهم: «يا بني: إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حُسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثًا وإن طال حتى يمسك»[2].

قال الشعبي رحمه الله: «جالسوا العلماء: فإنكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يعنفوكم، وإن جهلتم علموكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم»[3].

❑ ❑ ❑

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

قبض العلم وذهاب العلماء

قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم ينزعه انتزاعًا من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[1].

قال رسول الله ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، ويكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»[2].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض - وقبضه أن يُذهب بأصحابه - عليكم بالعلم: فإن أحدكم لا يدري متى يفتقرُ إليه، أو يفتقرُ إلى ما

(١) رواه البخاري ومسلم. (صحيح الجامع ١٨٥٤).

(٢) رواه البخاري ومسلم. (صحيح الجامع ٢٢٠٦).

عندهُ، وإنكم ستجدون أقوامًا يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، عليكم بالعلم، وإياكم والتبدُّع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمقُ، وعليكم بالعتيق»[1] .

عن ابن شهاب رحمه الله قال: «بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا: الاعتصام بالسنن نجاة، والعلم يُقبض قبضًا سريعًا؛ فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وذهاب ذلك كله في ذهاب العلم»[2] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما مات زيد بن ثابت رضي الله عنه: «من سره أن ينظر كيف ذهاب العلم؟ فهكذا ذهابه»[3] .

وكان خلاد بن سليمان الحضرمي رحمه الله يقول: «سمعت دراجًا أبا السمح يقول: يأتي على الناس زمان يُسمن الرجل راحلته حتى تقعد شحمًا، ثم يسير عليها في الأمصار

(١) شرح أصول الاعتقاد.

(٢) صحيح جامع بيان العلم.

(٣) المصدر السابق.

حتى تصير نقضًا، يلتمس من يُفتيه بسُنة قد عمل بها، فلا يجد إلا من يفتيه بالظن»[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يدرس، حتى يكثر أهل الجهل، ويذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل»[2].

وأنشد أبو العتاهية:

ماذا يفوز الصالحون به

سُقيت قبور الصالحين ديم

صلى الإله على النبي لقد

مُحيت عهود بعده وذمم

لولا بقايا الصالحين عفا

ما كان أثبته لنا ورسم

---

(١) صحيح جامع بيان العلم.

(٢) المصدر السابق.



حسن الخاتمة لأهل العلم الربانيين

من حـفظ الله في الرخـاء حـفظه الله في وقت الشـدة والبلاء، والجزاء من جنس العـمل، فإذا علمت ذلك، فقل لي بربك، كيف تتوقع أن تكون خاتمة من قضى عمره وأفنى شبابه في تحصيل العلم الشرعي؟ فتراه يسهر الليالي الطوال على قراءة العلم الشرعي وكـتابته وحفظه، فـإذا جاء الصباح فهـو شعلةُ نشاط يبلغ هذا العلم، وينـشره بين الناس بأفعاله قـبل أقواله، ويذب بسلطان العلم والبـيان عن شـرع الله، ويُبطل افـتراءات شياطين الإنس والجـان، ويُجاهد ويُدافع عن هذا الدين بلسانه وقلمه ومـاله ونفسه، فمن كـان هذا حاله كيف تتوقع خـاتمته ونهايته؟ اقرأ الجواب وتدبره إن كنت من أولي الألباب:

حين احتـضر الإمام أبو إسحـاق النيسابوري رحـمه الله وكان صائمًا طوال ذلك اليوم فقال لولده: ارفع الستر، ثم قال له: أنا عطشـان. فجاءه ولده بماء، فـقال له أبو إسـحاق: هل

غابت الشمس؟ فقال: لا. فقال: فـرُد الماء، ثم جعل يقول: «لمثل هذا فليعمل العاملون» ثم فاضت روحه إلى بارئها»[1].

نقل الذهبي في ترجـمتـه العبـد الصالح المحـدث «أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي رحمه الله: قال أحمد بن يوسف الشيرازي: ولما احتضر سندته إلى صدري وكان مستهترًا بالذكر - أي: كثير اللهج بالذكر مكثرا منه - فدخل عليه محمد ابن القاسم فـأكب عليه وقال: يا سيـدي قال الرسول ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**، فرفع طرفه إليه وتلا: **﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾**[2] فدهش من كان حاضـرًا من أصحابه ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة»[3].

ذكر ابن العـماد الحنبلي «أن الإمـام ابن قدامـة المقدسي

---

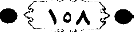
(١) تاريخ بغداد.

(٢) يس: ٢٦ - ٢٧.

(٣) سير أعلام النبلاء.

رحمه الله كان كثير الذكر لله تعالى حتى مات وهو عاقد على أصابعه يسبح»[1].

جاء في ترجمة العبد الصالح الإمام الحافظ عماد الدين أبو طاهر السلفي رحمه الله «ولم يزل يُقرأ عليه الحديث حتى آخر يوم من حياته إلى أن غربت الشمس من ليلة وفاته، وهو يرد على القارئ اللحن الخفي - أى: الخطأ الخفي في التلاوة - وصلى الصبح عند انفجار الفجر من يوم الجمعة خامس ربيع الأول من سنة ٥٧٦ هـ - أو قبلها - وتوفي عقبه فجأة»[2].



(١) شذرات الذهب.

(٢) طبقات الشافعية.

الخاتمة

* العلم يُحيي أناسًا في قبورهم
والجهل يُلحق أحياء بأموات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات
* إن الملوك ليحكمون على الورى
وعلى الملوك لتحكمُ العلماءُ
* العلم أشرف مطلوب وطالبه
لله أفضل من يمشي على قدم

وبعد ...

يا أخا الإسلام: ها نحن قد عشنا معًا في بيان العلم وشرفه وفضله، والصفات المطلوبة في طالبه، وعرفنا ما جزاء العلماء الربانيين عند رب العالمين، ولقد تجولنا خلال هذه الرسالة بين آيات الكتاب العزيز، وقطوف من السنة المطهرة،

ورياض وقطوف من أحوال السلف الصالح، واقتبسنا من كلماتهم الذهبية ما تعلو به الهمم لطلب العلم الشرعي.

فيا أخا الإسلام: هُب من غفلتك، واستيقظ من رقدتك، وانفض عنك غبار الكسل والخمول، وسر في طريق طلب العلم الشرعي، وتجاوز العقبات والصعاب، وسطر بعزمك وهمتك صفحات ملؤها الجد والاجتهاد، والبذل والتضحية في سبيل تحصيل العلم، واحمل لواء العلم الشرعي، وامض في الطريق، وعناية الله تحرسك، وملائكة السماء تظلك بأجنحتها، وقلوب المؤمنين الصادقين معك تدعو لك، وتهفو وتتطلع إلى ذلك اليوم الذي تنصر فيه دين الله بعلمك، وتكون فيه إمامًا يقتدى بك في الخير والهدى والتقى، فيا طالب العلم أقبل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الراجي لعفو ربه

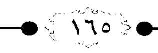
أبو عبيدة: أسامة بن محمد الجمال

ثبت المراجع

م	الكتاب	المؤلف
١	تفسير القرآن العظيم	لابن كثير
٢	تفسير معالم التنزيل	للبغوي
٣	تفسير القرطبي	للقرطبي
٤	صحيح البخاري	للبخاري
٥	صحيح مسلم	لمسلم
٦	صحيح أبي داود	للألباني
٧	صحيح النسائي	للألباني
٨	صحيح الترمذي	للألباني
٩	صحيح ابن ماجه	للألباني
١٠	صحيح الجامع الصغير	للألباني
١١	شرح السنة	للبغوي
١٢	الجرح والتعديل	لابن أبي حاتم الرازي
١٣	تذكرة الحفاظ	للذهبي
١٤	فتح المغيث شرح ألفية الحديث	للسخاوي
١٥	شرف أصحاب الحديث	للخطيب البغدادي
١٦	الكفاية في علم الرواية	للخطيب البغدادي
١٧	وفيات الأعيان	لابن خلكان
١٨	فوات الوفيات	لابن شاكر الكتبي
١٩	تهذيب التهذيب	لابن حجر
٢٠	الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع	للخطيب البغدادي
٢١	ميزان الاعتدال للذهبي	للذهبي
٢٢	الاعتصام	للشاطبي
٢٣	شرح أصول اعتقاد أهل السنة	للالكائي
٢٤	تاريخ دمشق	لابن عساكر
٢٥	البداية والنهاية	لابن كثير
٢٦	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	لابن حجر
٢٧	سير أعلام النبلاء	للذهبي
٢٨	صفة الصفوة	لابن الجوزي
٢٩	طبقات الشافعية الكبرى	للسبكي
٣٠	تاريخ الإسلام	للذهبي
٣١	ترتيب المدارك	للقاضي عياض

٣٢	مناقب الإمام أحمد	ابن الجوزي
٣٣	توالي التأسيس في مناقب ابن إدريس	ابن حجر
٣٤	فتاوى ابن تيمية	جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم
٣٥	ذيل الطبقات الحنابلة	لابن رجب
٣٦	تبيين كذب المفتري	ابن عساكر
٣٧	الفوائد	لابن القيم
٣٨	مفتاح دار السعادة	لابن القيم
٣٩	مدارج السالكين	لابن القيم
٤٠	الزهد والرقائق	ابن المبارك
٤١	الزهد الكبير	للبيهقي
٤٢	الزهد لابن حنبل	للإمام أحمد
٤٣	صحيح جامع بيان العلم	ابن عبد البر
٤٤	صيد الخاطر	لابن الجوزي
٤٥	الآداب	للبيهقي
٤٦	المروءة وخوارمها	مشهور حسن سليمان
٤٧	الجواب الكافي	لابن القيم
٤٨	تهذيب الإحياء	لعبد السلام هارون
٤٩	تلبيس إبليس	لابن الجوزي
٥٠	مختصر قيام الليل	للمقريزي
٥١	محاسبة النفس	لابن أبي الدنيا
٥٢	مختصر منهاج القاصدين	لابن قدامة المقدسي
٥٣	رهبان الليل	للعفاني
٥٤	اقتضاء العلم العمل	للخطيب البغدادي
٥٥	أخلاق العلماء	للآجري
٥٦	إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء	للطباخ
٥٧	جامع العلوم والحكم	لابن رجب
٥٨	الكبائر	للذهبي
٥٩	الفتاوي السعدية	للشيخ السعدي
٦٠	روضة العقلاء ونزهة الفضلاء	لابن حبان
٦١	الوقت أنفاس لا تعود	لعبد الملك القاسم
٦٢	إيقاظ الهمة	للسعيدان
٦٣	مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز	صالح أحمد الشامي
٦٤	مواعظ الإمام سفيان الثوري	صالح أحمد الشامي
٦٥	مواعظ الإمام الفضيل بن عياض	صالح أحمد الشامي
٦٦	مواعظ الإمام الشافعي	صالح أحمد الشامي

المحتويات



أختاه

ما أحلى الرجوع إلى الله

تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال

الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية - ت: ٥٤٩٦١٠٧

الإذاعة بالصحيح من

أشراط الساعة

تأليف
أبي عبيدة
أسامة بن محمد الجمال

الناشر
دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع
الإسكندرية - ت: ٥٤٩٦١٠٧

حقًا

إنها المرأة الصالحة

تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال

الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية - ت : ٥٤٩٦١٠٧